صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه



مكاشفة القلوب

المقرب الى حضرة علام الغيوب

المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب

للامام العلامة العارف الشيخ

الغزالي رحمه الله تعالى

ونفعنا ببركاته

آمين



ما شاء الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنبات وقدر الأرزاق والأقوات وأثاب على الأعمال الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي المعجزات الطاهرات الذي حصل من نور وجوده الكائنات (وبعد) فهذا كتاب اختصرته من الكتاب البديع حسن الصنيع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب المنسوب إلى الشيخ الغزالي وقد سميته كأصله مكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والذنوب واقتصرت فيه على مائة واحد عشر باب ليحفظ ما فيها أولو العلم والألباب

(الباب الأول) في الخوف (الباب الثاني) في الخوف من الله تعالى أيضا (الباب الثالث) في الصبر والمرض (الباب الرابع) في الرياضة والشهوة النفسانية (الباب الخامس) في غلبة النفس وعداوة الشيطان (الباب السادس) في الغفلة (الباب السابع) في نسيان الله والفسق والنفاق (الباب الثامن) في التوبة (الباب التاسع) في المحبة (الباب العاشر) في ذكر العشق (الباب الحادي عشر) في طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم (الباب الثاني عشر) في ذكر إبليس وعداوته (الباب الثالث عشر) في ذكر الأمانة (الباب الرابع عشر) في الصلاة بالخضوع والخشوع (الباب الخامس عشر) في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الباب السادس عشر) في عداوة الشيطان (الباب السابع عشر) في الأمانة والتوبة (الباب الثامن عشر) في فضل الترحم (الباب التاسع عشر) في الخشوع في الصلاة (الباب العشرون) في الغيبة والنميمة

(الباب

الباب الاول فى بيان الخوف

جاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى خلق ملكا له جناح فى المشرق وجناح فى
المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الارض السابعة وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش فاذا صلى
رجل أو امرأة من أمتى على أمره الله تعالى ان يغمس فى بحر من نور تحت العرش فيغمس فيه ثم يخرج
وينفض جناحيه فيقطر من كل ريشة قطرة فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يستغفر له الى يوم القيامة
* قال بعض الحكماء سلامة الجسد فى قلة الطعام وسلامة الروح فى قلة الآثام وسلامة الدين فى الصلاة
على خير الانام * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله يعنى اخشوا الله وأطيعوه ولتنظر نفس ما قدمت
لغد يعنى عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون من الخير والشر فان الملائكة والسماء والارض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون
بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى ان جوارحه تشهد عليه والارض تشهد للمؤمن والزاهد
فتقول صلى على وصام وحج وجاهد فيفرح المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والعاصى فتقول أشرك
على وزنى وشرب الخمر وأكل الحرام فيا ويله ان ناقشه فى الحساب أرحم الراحمين * المؤمن هو الذى

يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث علامة خوف الله تعالى تظهر في سبعة أشياء أولها لسانه فيمنعه من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم والثاني قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الاخوان لان الحسد يمحو الحسنات كما قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واعلم ان الحسد من الامراض العظيمة في القلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والثالث نظره فلا ينظر الى الحرام من الاكل والشرب واللكسوة وغيرها ولا الى الدنيا بالرغبة بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر الى ما لا يحل له كما قال صلى الله عليه وسلم من ملأ عينيه من الحرام ملأ الله تعالى يوم القيامة عينيه من النار والرابع بطنه فلا يدخل بطنه حراما فانه اثم كبير كما قال صلى الله عليه وسلم اذا وقعت لقمة من الحرام في بطن ابن آدم لعنه كل ملك في الارض والسماء ما دامت تلك اللقمة في بطنه وان مات على تلك الحالة فمأواه جهنم والخامس يده فلا يمد يده الى الحرام بل يمدها الى ما فيه طاعة الله تعالى وروى عن كعب الاحبار انه قال ان الله تعالى خلق دارا من زبرجد خضراء فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت لا يدخلها الا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى والسادس قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه والى صحبة العلماء والصلحاء والسابع طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرياء والنفاق واذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم والآخرة عند ربك للمتقين وقال في آية أخرى ان المتقين في جنات وعيون وقال الله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم وقال الله تعالى ان المتقين في مقام أمين كأنه تعالى يقول انهم ينجون يوم القيامة من النار وينبغي للمؤمن ان يكون بين الخوف والرجاء فيرجو رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله ويعبد الله ويرجع عن أفعاله القبيحة ويتوب الى الله تعالى ﴿حكاية﴾ بينما داود عليه السلام جالس في صومعته يتلو الزبور اذ رأى دودة حمراء في التراب فقال في نفسه ما أراد الله في هذه الدودة فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت يا نبي الله أما نهاري فألهمني ربي ان أقول في كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ألف مرة وأما ليلي فألهمني ربي ان أقول في كل ليلة اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة فأنت ما تقول حتى أستفيد منك فندم داود عليه السلام على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وتاب اليه وتوكل عليه (وكان) ابراهيم الخليل صلوات الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فارسل الله اليه جبريل فأتاه فقال له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فقال يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي وفكرت في عقوبته نسيت خلتي فهذه أحوال الانبياء والاولياء والصالحين والزاهدين فتأمل

﴿الباب الثاني في الخوف من الله تعالى أيضا﴾

قال أبو الليث رحمه الله تعالى ان لله ملائكة في السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى الى يوم القيامة ترتعد فرائصهم من مخافة الله تعالى واذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤسهم وقالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وذلك قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون يعني لا يعصون الله تعالى طرفة عين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جسد العبد من خشية الله تعالى تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة ورقها ﴿حكاية﴾ ان رجلا تعلق قلبه امرأة فخرجت تلك المرأة الى حاجة لها فذهب

الرجل معها فلما خلا بها في البادية ونام الناس أوشى الرجل بسره اليها فقالت له المرأة انظر أنام الناس
بأجمعهم ففرح الرجل بقولها وظن انها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فاذا الناس نيام فرجع اليها
وقال لها نعم هم نيام فقالت ما تقول في الله تعالى أنائم في هذه الساعة فقال الرجل ان الله تعالى لا ينام
ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة ان الذي لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يرونا فالله أولى ان
يخاف منه فتركها الرجل خوفا من الخالق وتاب ورجع الى وطنه فلما توفي رأوه في المنام فقيل له ما فعل
الله بك فقال غفر لي بخوفي وتركي ذلك الذنب ﴿حكاية﴾ كان في بني اسرائيل رجل عابد وعيال
وأصابته المجاعة وصار مضطرا فبعث امرأته لتطلب شيأ لعيالها فجاءت الى بيت رجل تاجر وطلبت منه
ما تقوت به عيالها فقال الرجل نعم ولكن مكنيني من نفسك فسكتت المرأة وعادت الى بيتها فنظرت الى
عيالها يصيحون ويقولون يا أمي نحن نموت من الجوع أعطينا ما نأكله فذهبت الى الرجل وكلمته في أمر
عيالها فقال لها أتمكنين حاجتي مقضية فقالت نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاصلها حتى كادت أعضاؤها
تزول عن مواضعها فقال لها ما لك فقالت اني أخاف الله فقال الرجل انك تخافين الله تعالى مع ما بك من
الفقر فانا أحق بالخوف منك وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت بنعمة كثيرة الى أولادها ففرحوا
فأوحى الله الى موسى عليه السلام أن قل لفلان بن فلان اني قد غفرت ذنوبه فجاء موسى عليه السلام فقال
لعلك قد فعلت خيرا بينك وبين الله فذكر القصة عليه فقال ان الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك
كذا في مجمع اللطائف وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لا أجمع على عبدي
خوفين ولا أمنين من خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وقال الله تعالى
فلا تخشوا الناس واخشون وقال في آية أخرى فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وكان عمر رضي الله
عنه يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه وأخذ يوما تبنة فقال يا ليتني كنت تبنة ولم أك
شيأ مذكورا يا ليتني لم تلدني أمي ويبكي كثيرا حتى تجري دموعه من عينيه فكان في وجهه خطان
أسودان من الدموع وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع
(وفي رقائق الاخبار) يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيآته فيؤمر به الى النار فتتكلم شعرة من شعرات
عينيه وتقول يا رب رسولك محمد صلى الله عليه وسلم قال من بكى من خشية الله حرم الله تلك العين على النار
واني بكيت من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شعرة واحدة كانت تبكي من خشية الله في
الدنيا وينادي جبريل عليه السلام نجا فلان بن فلان بشعرة واحدة وفي بداية الهداية اذا كان يوم
القيامة جيء بجهنم تزفر زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية أي
على الركب كل أمة تدعى الى كتابها فاذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة
عام وكل واحد حتى الانبياء يقول نفسي نفسي الا صفي الانبياء صلى الله عليه وسلم فانه يقول أمتي أمتي
وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجتهد أمة محمد صلى الله عليه وسلم في دفعها وتقول يا نار بحق المصلين
وبحق المتصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعي فلا ترجع وينادي جبريل عليه السلام
ان النار قد قصدت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يأتي بقدح من ماء فيناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقول يا رسول الله خذ هذا ورشه عليها فيرشه عليها فتنطفئ في الحال فيقول صلى الله عليه وسلم ما هذا الماء
فيقول جبريل عليه السلام هذا ماء دموع عصاة أمتك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت ان
أعطيكه لترشه على النار فتطفأ النار باذن الله تعالى وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ارزقني عينين

تبكيان من خشيته قبل أن يكون الدمع

أعيني هلا تبكيان على ذنبي * تناثر عمري من يدي ولا أدري

وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم مامن عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا (حكي) عن محمد بن المنذر رحمه الله تعالى انه كان اذا بكى يمسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع فينبغي للمؤمن ان يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات النفسانية كما قال الله تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي (وفي زهر الرياض) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المنابر وتفرش ويؤتى لهم بألوان الاطعمة والفواكه ثم تكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله يا عبادي ماهذه الحيرة وليست هذه دار حيرة فيقولون ان لنا موعدا قد جاء وقته فيقول الله تعالى للملائكة ارفعوا الحجب عن الوجوه فتقول الملائكة يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة فيقول الله تعالى ارفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقائي فترفع الحجب فينظرون فيخرون سجدا لله عز وجل فيقول الله تعالى ارفعوا رؤسكم فان هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة فيتجلى لهم بلا كيف ويقول لهم ثانيا سلام عليكم عبادي فقد رضيت عنكم فهل رضيتم عني فيقولون ومالنا يا ربنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم

﴿الباب الثالث في الصبر والمرض﴾

من أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليمنع نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائدها ومصائبها كما قال الله تعالى والله يحب الصابرين والصبر على أوجه صبر على طاعة الله وصبر عن محارمه وصبر على المصيبة وعند الصدمة الاولى فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين السماء والارض ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والارض السابعة ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة تسعمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين العرش الى الثرى (حكي) ان زكريا عليه السلام هرب من اليهود فتبعوا أثره فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها يا شجرة أدخليني فيك فانشقت الشجرة فدخل فيها ثم التامت عليه فأشار عليهم ابليس أن يأتوا بالمنشار ويشقوها نصفين حتى يموت فيها ففعلوا كما قال ابليس وذلك حيث اعتصم بالشجرة ولم يعتصم بالله فأورثه ذلك هلاك نفسه ونشر بالمنشار على فرقين كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى مامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بي الا أعطيته قبل ان يسألني واستجبت له قبل أن يدعوني ومامن عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دوني الا أغلقت أبواب السماء عليه فلما بلغ المنشار الى دماغه صاح فقيل له يا زكريا ان الله يقول لك لم لا تصبر للبلاء تقول آه لو قلتها مرة ثانية لاخرجتك من ديوان الانبياء فعض زكريا شفتيه وصبر حتى شقوه نصفين فيجب على العاقل ان يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة لان أشد البلاء على

الانبياء والاولياء قال الجنيد البغدادي رحمه الله البلاء سراج العارفين ويقظة المريدين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين لا يجد أحد حلاوة الايمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر قال صلى الله عليه وسلم من مرض ليلة فصبر ورضي عن الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاذا مرضتم فلا تتمنوا العافية قال الضحاك من لم يبتل بين كل أربعين ليلة ببلية أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال اذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين أكتب لعبدي أحسن ما كان يعمل وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين فقال انظرا ما يقول عبدي فان هو قال الحمد لله رفع ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدي على ان أنا توفيته ان أدخله الجنة وان أنا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان أكفر عنه سيآته (حكي) أنه كان في بني اسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه عن فسقه فتضرعوا الى الله تعالى وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان في بني اسرائيل شابا فاسقا فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه فجاء موسى عليه السلام فأخرجه فذهب الشاب الى قرية من القرى فأمر الله موسى ان يخرجه من تلك القرية فأخرجه موسى عليه السلام فخرج الى مغارة ليس فيها خلق ولا زرع ولا وحوش ولا طيور فمرض في تلك المغارة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتي عند رأسي لرحمتني ولبكت على مذلتي ولو كان والدي حاضرا لاعانني وتولى أمري ولو كانت زوجتي حاضرة لبكت على فراقي ولو كان أولادي حاضرين عندي لبكوا خلف جنازتي ولقالوا اللهم اغفر لوالدنا الغريب الضعيف العاصي الفاسق المطرود من بلده الى قريته ومن القرية الى مغارة يخرج من الدنيا الى الآخرة آيسا من كل الاشياء اللهم قطعتني عن والدي وأولادي وزوجتي فلا تقطعني من رحمتك فانك أحرقت قلبي بفراقهم فلا تحرقني بنارك لاجل معصيتي وأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وغلمانا على صفة أولاده وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال ان هذا والدي ووالدتي وزوجتي وأولادي حضروا عندي وطاب قلبه ووصل الى رحمة الله تعالى طاهرا مغفورا له فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذهب الى مغارة كذا وموضع كذا فانه مات فيه ولي من الاولياء فاحضره وتولى أمره وواره فلما حضر موسى عليه السلام ذلك الموضع رأى الشاب الذي كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور العين حواليه فقال موسى عليه السلام يا رب أما هذا الشاب الذي أخرجته من البلد ومن القرية بأمرك فقال الله تعالى يا موسى اني رحمته وتجاوزت عنه بأنينه في موضعه وفراقه وطنه ووالديه وولده وأولاده وزوجته وأرسلت اليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون على مذلته في غربته فانه اذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الارض رحمة له فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين * اذا وقع الغريب في النزع يقول الله تعالى يا ملائكتي هذا غريب مسافر ترك أولاده وعياله ووالديه واذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحدا من الملائكة على صورة أبيه وواحدا على صورة أمه وواحدا على صورة ولده وواحدا على صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينيه ويرى والديه وعياله فيطيب قلبه ويخرج روحه مع الفرح والسرور ثم اذا خرجت جنازته يشيعونها ويدعون له على قبره الى يوم القيامة فذلك قوله تعالى الله لطيف بعباده (وقال ابن عطاء) يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام

الرجاء وخرج في أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علمه ولا عمله كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يشكر لعطائي فليطلب ربا سواي (حكى وهب بن منبه) أن نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله إليه أني قد غفرت لك فقال يا رب لماذا تغفر لي ولم أذنب قط فأمر الله عرقه فضرب عليه ولم ينم تلك الليلة فجاءه ملك الصبح فشكا إليه ما لقي من ضربان العرق فقال إن ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق

(الباب الرابع في الرياضة والشهوة النفسانية)

أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسوسة قلبك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينك ومن سمعك إلى أذنك فأكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني ما عملت في يوم القيامة اعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء هي أعدى لك من إبليس وإنما يقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها فلا تغرنك نفسك بالأماني والغرور لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفترة والكسل فدعواها باطل وكل شيء منها غرور وإن رضيت عنها واتبعت أمرها هلكت وإن غفلت عن محاسبتها غرقت وإن عجزت عن مخالفتها واتبعت هواها قادتك إلى النار وليس للنفس رجوع إلى الخير وهي رأس البلايا ومعدن الفضيحة وهي خزانة إبليس ومأوى كل شر لا يعرفها إلا خالقها واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون يعني من الخير والشر وإذا تفكر العبد فيما مضى من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكر غسل القلب كما قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة كذا في تفسير أبي الليث فينبغي للعاقل أن يتوب من الذنوب الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجيه في الدار الآخرة ويقصر الأمل ويعجل التوبة ويذكر الله تعالى ويترك المناهي ويصبر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صنم فمن عبد النفس فهو يعبد الصنم ومن عبد الله بالإخلاص فهو الذي قهر نفسه (روي) أن مالك بن دينار كان يمشي في سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه فخلع نعله وأعطاه إلى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النعل وقال لا يساوي شيئا فمضى مالك فقيل للبقال أليس تعرف من هذا قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له إن قبل هذا منك فأنت حر فعدا الغلام خلف مالك بن دينار وقال له اقبل هذا مني فأبى فقال اقبل فإن فيه تحريري فقال له مالك بن دينار إن كان فيه تحريرك ففيه تعذيبي فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين إلى يوم الدين

(حكي) أن مالك بن دينار مرض مرضه الذي مات فيه فاشتهى قدحا من العسل واللبن ليثرد فيه رغيفا حارا فمضى الخادم وحمله إليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقي من عمرك ساعة ورمى القدح من يديه وصبر نفسه ومات وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين قال سليمان بن داود عليه السلام إن القاهر لنفسه أشد من يفتح المدينة وحده وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب آخر من أمات نفسه يلف في كفن الرحمة ويدفن في أرض الكرامة ومن أمات قلبه يلف في كفن اللعنة ويدفن في أرض العقوبة (قال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى جاهد نفسك

بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام وحمل الاذى من الانام والقلة من الطعام فيتولد من قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات ومن قلة الطعام موت الشهوات لان فى كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره نور الحكمة الجوع والشبع يبعد من الله كما قال صلى الله عليه وسلم نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا انفسكم بالجوع والعطش وأديموا قرع باب الجنة بالجوع فان الاجر فى ذلك كاجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل أحب الى الله تعالى من جوع وعطش ولن يلج ملكوت السماء من ملأ بطنه وفقد حلاوة العبادات (قال) أبو بكر الصديق رضى الله عنه ماشبعت منذ أسلمت لاجد حلاوة عبادة ربى وما رويت منذ أسلمت اشتياقا الى لقاء ربى لان فى كثرة الاكل قلة العبادة لانه اذا أكثر الانسان الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه وفترت أعضاؤه ولا يجئ منه شئ وان اجتهد الا النوم فيكون كالجيفة الملقاة كذا فى منهاج العابدين (عن لقمان الحكيم) أنه قال لابنه لا تكثر النوم والاكل فان من أكثرهما جاء يوم القيامة مفلسا من الاعمال الصالحة كذا فى منية المفتى وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلى والبخار يصل اليه فكثرة البخار تكدره وتسوده وفى كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة (حكى) عن يحيى بن زكريا عليه السلام ان ابليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ماهذه قال الشهوات التى أصيد بها بنى آدم قال يحيى هل تجد لى فيها شيأ قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلاة قال يحيى عليه السلام لاجرم انى لا أشبع بعدها أبدا فقال ابليس لاجرم انى لا أنصح أحدا أبدا فهذه فيمن لم يشبع فى عمره الا ليلة فكيف عن لا يجوع فى عمره ليلة ثم يطمع فى العبادة (حكى) أيضا عن يحيى بن زكريا عليه السلام انه شبع مرة من خبز شعير فنام تلك الليلة عن ورده فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت دارا هى خير لك من دارى أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى وعزتى وجلالى لو اطلعت على الفردوس واطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بدل الدموع وللبست الحديد بدل المسوح

الباب الخامس فى علبة النفس وعداوة الشيطان

ينبغى للعاقل أن يمنع شهوة النفس بالجوع اذ الجوع قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات والاكل والشرب كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ان أقرب الناس الى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها أخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهاهما ربهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات (وقال بعض الحكماء) من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها ومنعت قلبه من الفوائد من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجرة الندامة ان الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة (حكاية) قال ابراهيم الخواص كنت فى جبل

السكام فرأيت رمانا فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال لي وعليك السلام يا ابراهيم فقلت من أين عرفتني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال وانى أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن يحميك من شهوة الرمان فان الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا ولدغ الزنابير على النفوس ولدغ الشهوات على القلوب فمضيت وتركته * الشهوة تصير الملوك عبيدا والصبر يصير العبيد ملوكا ألا ترى الى قصة يوسف عليه السلام و زليخا فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره وصارت زليخا ذليلة حقيرة فقيرة عجوزا عمياء لاجل شهوتها فان زليخا لم تصبر عن محبة يوسف (حكى) أبو الحسن الرازى أنه رأى والده فى منامه بعد موته بسنتين وعليه ثياب من القطران فقال له يا أبى مالى أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا ولدى حدثتنى نفسى الى النار فاحذر يا ولدى من خديعة نفسك

انى ابتليت بأربع ما سلطوا * الا لشدة شقوتى وعنائى
ابليس والدنيا ونفسى والهوى * كيف الخلاص وكلهم أعدائى
وأرى الهوى تدعو اليه خواطرى * فى ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الاصم رحمه الله نفسى رباطى وعلمى سلاحى ودينى جنتى والشيطان عدوى وأنا نفسى غادر (حكى عن بعض أهل المعرفة) انه قال الجهاد على ثلاثة أصناف جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذى فى قوله تعالى يجاهدون فى سبيل الله وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى وجادلهم بالتى هى أحسن وجهاد مع النفس الامارة بالسوء كالذى فى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد جهاد النفس وان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا اذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وانما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشيطان أكبر لان الجهاد معها أدوم وجهاد الكفار يكون فى وقت دون وقت ولان الغازى يرى العدو ولا يرى الشيطان والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ولان للشيطان معينا من نفسك وهو الهوى وليس للكافر معين من نفسك فلذلك كان أشد ولانك اذا قتلت الكافر تجد النصر والغنيمة وان قتلك الكافر تجد الشهادة والجنة ولا تقدر أن تقتل الشيطان وان قتلك الشيطان تقع فى عقوبة الرحمن كما قيل من فر من عدوه فرسه فى الحرب يقع فى أيدى الكفار ومن فر من الاعيان يقع فى غضب الجبار نعوذ بالله منه ومن وقع فى أيدى الكفار لا تغل يده الى عنقه ولا تقيد رجله ولا يجوع بطنه ولا يعرى بدنه ومن وقع فى غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده الى عنقه بالاغلال وتقيد رجله بقيود النار وتكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار

(الباب السادس فى الغفلة)

الغفلة تزيد الحسرة الغفلة تزيل النعمة وتحجب عن الخدمة الغفلة تزيد الحسد الغفلة تزيد الملامة والندامة حكى ان بعض الصالحين رأى أستاذه فى المنام فسأله أى الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة وروى ان بعضهم رأى ذا النون المصرى فى منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال لى يا مدعى يا كذاب ادعيت محبتى ثم غفلت عنى

أنت في غفلة وقلبك ساهي * ذهب العمر والذنوب كما هي

(حكي) أن رجلا من الصالحين رأى والده في منامه فقال يا أبت كيف أنت وكيف حالك فقال له يا ولدي عشنا في الدنيا غافلين ومتنا غافلين (وفي زهر الرياض) كان يعقوب عليه السلام مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزائرا جئت أم قابضا روحي فقال بل زائرا قال فإني أسألك حاجة قال وما هي قال أن تعلمني إذا دنا أجلي وأردت أن تقبض روحي فقال نعم أرسل إليك رسولين أو ثلاثة فلما انقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال أزائرا جئت أم لقبض روحي فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرتني أنك ترسل إلي رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده وضعف بدنك بعد قوته وانحناء جسمك بعد استقامته هذه رسلي يا يعقوب إلى بني آدم قبل الموت

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل * وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك في الدنيا غرور وحسرة * وعيشك في الدنيا محال وباطل

(قال) أبو علي الدقاق دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكي وقد بلغ أرذل العمر فقلت له أيها الشيخ مم بكاؤك أعلى الدنيا فقال كلا بل أبكي على فوت صلاتي قلت وكيف ذلك وقد كنت مصليا قال لأني قد بقيت إلى يومي هذا وما سجدت إلا في غفلة ولا رفعت رأسي إلا في غفلة وها أنا أموت على الغفلة ثم إنه تنفس الصعداء وأنشأ يقول

تفكرت في حشري ويوم قيامتي * وإصباح خدي في المقابر ثاويا
فريدا وحيدا بعد عز ورفعة * رهينا بجرمي والتراب وساديا
تفكرت في طول الحساب وعرضه * وذل مقامي حين أعطى كتابيا
ولكن رجائي فيك ربي وخالقي * بأنك تعفو يا إلهي خطائيا

وفي عيون الأخبار ذكر عن شقيق البلخي أنه قال الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها في أعمالهم يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم ويقولون إن الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن قلوبهم إلا بالدنيا وجمع حطامها وهذا أيضا خلاف قولهم ويقولون لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم فانظر لنفسك يا أخي بأي بدن تقف بين يدي الله تعالى وبأي لسان تجيبه وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي من الخير والشر ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يوحدوه في السر والعلانية (جاء في الخبر) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ومحب من أحبني ومجيب من دعاني وغافر لمن استغفرني فينبغي للعاقل أن يطيع الله بالخوف والإخلاص في طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه والشكر على نعمائه والقناعة بعطائه يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي ولم يقنع بعطائي فليطلب ربا سوائي وقال رجل للحسن البصري رحمه الله إني لا أجد الطاعة لذة فقال له لعلك نظرت في وجه من لا يخاف الله العبودية أن تترك الأشياء كلها وقال رجل لأبي يزيد رحمه الله إني لا أجد للطاعة لذة فقال لأنك تعبد الطاعة لا تعبد الله اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة (حكي) أن رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى إلى قوله إياك نعبد خطر بباله أنا عابد لله في الحقيقة فنودي في السر كذبت إنما تعبد الخلق فتاب واعتزل الناس ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله إياك نعبد نودي كذبت إنما تعبد مالك فتصدق بماله كله

ثم شرع في الصلاة فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودي كذبت انما تعبد ثيابك فتصدق بها الا ما لا بد له منه ثم شرع فيها فلما انتهى الى قوله اياك نعبد نودي الآن صدقت انما تعبد ربك (وفي رونق المجالس) ضاع لرجل جوالق فلم يدر من أخذه منه فلما دخل في الصلاة تذكره فلما سلم قال لغلامه اذهب الى فلان ابن فلان واسترد منه الجوالق فقال له الغلام متى ذكرته فقال حين كنت في الصلاة فقال حين كنت في الصلاة فقال يا مولاي كنت طالب الجوالق لا طالب الخالق فأعتقه مولاه ببركة اعتقاده * فينبغي للعاقل أن يترك الدنيا ويعبد الله ويتفكر أمامه ويريد الآخرة كما قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا أي ملاذها من لباسها وطعامها وشرابها نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب بأن ينزع من قلبه حب الآخرة ولذلك أنفق أبو بكر الصديق رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار في السر وأربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء وكان صلى الله عليه وسلم معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها وأهلها ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء رضي الله عنها المار وجها النبي صلى الله عليه وسلم من على جلد كبش مدبوغ ووسادة أدم حشوها الليف

﴿الباب السابع في بيان الله تعالى والعشق والنفاق﴾

جاءت امرأة الى الحسن البصري رضي الله عنه فقالت انه كانت لي ابنة شابة فماتت وأحببت ان أراها في المنام فقال لك تعلمي ما أستعين به على رؤيتها فعلمها فرأتها وعليها لباس من قطران وفي عنقها الغل وفي رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاغتم ومضت مدة ثم رآها الحسن في الجنة وعلى رأسها تاج فقالت يا حسن أما تعرفني أنا ابنة المرأة التي أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذي صيرك الى ما أرى قالت مر بنا رجل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة وكان في المقبرة خمسمائة وخمسون انسانا في العذاب فنودي ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل (تكمله) بصلاة رجل على محمد صلى الله عليه وسلم أصابتهم المغفرة فمن يصلي عليه مدة خمسين سنة فلا تجد شفاعته يوم القيامة * قال الله تعالى (ولا تكونوا) أي في المعصية (كالذين) يعني كالمنافقين الذين (نسوا الله) يعني تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلذذوا بشهوات الدنيا وركنوا الى غرورها وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همه في الصلاة والصيام والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل أحد الا من الله والمنافق راج كل أحد الا الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن آمن من كل أحد الا من الله والمنافق خائف من كل أحد الا من الله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والملأ والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح والمنافق يأمر وينهى رياسة ويفسد بل يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف كما قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم وقال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الآية يعني ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفار وجعل مأواهم جميعا النار وقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم

نصيرا الآية والمنافق اشتقاقه في اللغة من نافقاء اليربوع ويقال ان لليربوع جحرتين احداهما النافقاء والاخرى القاصعاء فيظهر بنفسه في احداهما ويخرج من الأخرى ولهذا سمي المنافق منافقا لانه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الاسلام الى الكفر (وفي الحديث) مثل المنافق كمثل الشاة تتردد بين قطيعين من الغنم تارة تسير الى هذا القطيع وتارة الى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما لانها غريبة ليست منهما وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين* ان الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى لها سبعة أبواب الآية من حديد مطبقة باللعنة وعليها طهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس ورصاص وزجاج وحديد ورصاص النار من فوق أهلها والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم طبقا بعضها فوق بعض أعدلها فمن منها الدرك الاسفل وجاء في الخبر ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لي النار وحرها فقال ان الله عز وجل خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة والذي بعثك بالحق نبيا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الارض لماتوا جميعا ولو أن دلوا من شرابها صب على ماء الارض جميعه لقتل من ذاقه ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الآية كل ذراع طوله من المشرق الى المغرب لو وضع على جبال الدنيا لذابت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الارض من نتن ريحه وسأل صلى الله عليه وسلم جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أهي كأبوابنا هذه فقال يا رسول الله لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا وسأله ايضا عن سكان هذه الابواب فقال أما الاسفل ففيه المنافقون واسمه الهاوية كما قال الله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس عليه اللعنة ومن تبعه من المجوس واسمه لظى والباب الخامس فيه اليهود واسمه الحطمة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ثم أمسك جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تخبرني عن سكان الباب السابع فقال جبريل يا محمد لا تسألني عنه فقال له أخبرني عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمتك الذين ماتوا ولم يتوبوا (روى) أنه لما نزل قوله تعالى وان منكم الا واردها اشتد حزنه صلى الله عليه وسلم على أمته وبكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وقهره وعقابه خوفا شديدا وبكى على نفسه وتفريطه قبل ان يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة المهولة وقبل ان تهتك الاستار ويعرض على المنتقم الجبار ويؤمر به الى النار فكم من شيخ ينادي في النار واشيبتاه وكم من شاب ينادي في النار واشباباه وكم من امرأة في النار تنادي وافضيحتاه واهتك ستراه وقد سودت وجوههم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تستر نساؤهم اللهم اجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا الى النار وادخلنا الجنة مع الابرار برحمتك يا عزيز يا غفار اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا وأقلنا من عثراتنا ولا تفضحنا بين يديك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثامن في التوبة

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة قال الله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا والامر للوجوب وقال تعالى

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله) يعني عاهدوا الله ونبذوا كتابه وراء ظهورهم (فأنساهم أنفسهم) يعني أنساهم حالهم حتى لم ينتبهوا أنفسهم ولم يقدموا الخير أو قال صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (أولئك هم الفاسقون) يعني العاصون الناقضون عهدهم أي الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والمغفرة والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر فالفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله ورسوله وخرج عن الهداية ودخل في الضلالة كما قال الله تعالى ففسق عن أمر ربه يعني خرج عن طاعة أمر ربه بالايمان والفاسق الفاجر هو الذي يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزني ويعصي الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل في المعصية ولا يأتي بالشرك والفرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجى غفرانه الا بالشهادة والتوبة قبل موته والفاسق الفاجر يرجى غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت فان كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجى غفرانها ومعصية ابليس كان أصلها من الكبر فينبغي لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله كما قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات الآية يعني يتجاوز عما عملوا بقبوله التوبة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له (حكي) ان رجلا كان كلما أذنب يكتب ذنبه في ديوان فاذنب يوما ذنبا فنشر ديوانه ليكتبه فيه فلم يجد فيه الا قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الآية يعني يبدل مكان الشرك الايمان ومكان الزنا العفو ومكان المعصية العصمة والطاعة (وحكي) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وقتا من الاوقات من سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قارورة تحت ثيابه فقال عمر أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك وكان فيها خمر فخجل الشاب أن يقول خمرا وقال في سره الهي لا تخجلني عند عمر ولا تفضحني واسترني عنده فلا أشرب الخمر أبدا ثم قال يا أمير المؤمنين الذي أحمل هو خل فقال أرني حتى أراها فكشفها بين يديه فرآها عمر صارت خلا فانظر الى مخلوق تاب من خوف مخلوق فبدل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه اخلاص التوبة فلو تاب العاصي المفلس عن الاعمال الفاسدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بدل الله سبحانه وتعالى خمر سيآته بخل الطاعة * وذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرجت ذات ليلة بعدما صليت العشاء الآخرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا انا بامرأة في الطريق فقالت يا أبا هريرة اني ارتكبت ذنبا فهل لي من توبة فقلت وما ذنبك قالت اني زنيت وقتلت ولدي من الزنا فقلت لها هلكت وأهلكت والله مالك من توبة فخرت مغشيا عليها فصبت فعلت في نفسي أفتي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فرجعت اليه وأخبرته بذلك فقال هلكت وأهلكت فأين أنت من هذه الآية والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات الآية فخرجت وقلت من يدلني على امرأة سألتني مسئلة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشهقت شهقة من السرور وقالت ان لي حديقة جعلتها صدقة لله ورسوله (حكاية) عن عتبة الغلام رحمه الله تعالى وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما في مجلس الحسن البصري وهو يقرأ في تفسير قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله يعني ألم يجيء وقت تخاف قلوبهم فوعظ الشيخ في تفسير هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس فقام من بينهم شاب فقال يا تقي المؤمنين أيقبل الله تعالى الفاسق الفاجر مثلي اذا تاب فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسقك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه وارتعدت فرائصه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفاق دنا منه الحسن وقال

هذه الابيات

أيا شاكا لرب العرش عاصى * أتدرى ما جزاء ذوى المعاصى
سعير للعصاة لها زفير * وغيظ يوم يؤخذ بالنواصى
فان تصبر على النيران فاعصه * والا كن عن العصيان قاصى
وفيما قد كسبت من الخطايا * رهنت النفس فاجهد فى الخلاص

فصاح عتبة صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال ياشيخ هل يقبل الرب الرحيم توبة مثلى اللئيم فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجافى الا الرب المعافى ثم رفع رأسه ودعا ثلاث دعوات الاولى قال الهى ان كنت قبلت توبتى وغفرت ذنوبى فأكرمنى بالفهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن والثانية قال الهى أكرمنى بحسن الصوت حتى ان كل من سمع قراءتى يزداد رقة فى قلبه وان كان قاسى القلب والثالثة قال الهى أكرمنى بالرزق الحلال وارزقنى من حيث لا أحتسب فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان اذا قرأ القرآن تاب كل من سمع قراءته وكان يوضع فى بيته كل يوم قصعة من المرق ورغيفان ولا يدرى أحد من يضعها وكان على هذه الحالة حتى فارق الدنيا وهذا حال من أناب الى الله تعالى لان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا * وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد اذا تاب أن توبته قبلت أم ردت فقال لا حكم فى ذلك ولكن لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ويرى الفرح عن قلبه غائبا والرب شاهدا ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق ويرى القليل من الدنيا كثيرا والكثير من عمل الآخرة قليلا ويرى قلبه مشتغلا بما فرض الله تعالى عليه ويكون حافظا للسان دائم الفكرة ملازم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه

الباب التاسع فى المحبة

ذكر ان رجلا رأى صورة قبيحة فى المنام فقال من أنت قالت أنا عملك القبيح قال فما النجاة منك قالت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم الصلاة على نور على الصراط ومن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاما * وحكى * ان رجلا كان غافلا عن الصلاة على سيدنا محمد فرأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فى المنام ولم يلتفت اليه فقال يارسول الله أأنت على غضبان قال لا قال فلم لا تنظر الى قال لانى لا أعرفك فقال كيف لا تعرفنى وأنا رجل من أمتك وقد روى العلماء انك أعرف بأمتك من الوالدة بالولد فقال صدقوا ولكن انك لا تذكرنى بالصلاة وان معرفتى بأمتى بقدر صلاتهم على ثم انتبه الرجل وأوجب على نفسه أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم مائة مرة ففعل ذلك ثم رآه بعد ذلك فى المنام فقال أعرفك الآن وأشفع لك أى لانه صار محبا لرسول الله انتهى * قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الآية سببها ولما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا كعب بن الاشرف وأصحابه الى الاسلام قالوا نحن فى المنزلة ابناء الله ونحن أشد حبا لله فقال الله تعالى لنبيه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى على دينى فانى رسول الله أؤدى رسالته اليكم وحجته عليكم يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وحب المؤمن لله اتباعهم أمره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله للمؤمنين ثناؤه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه قال الامام فى احيائه من ادعى أربعا من غير أربع فهو كذاب من ادعى حب الجنة ولم يعمل الطاعة فهو كذاب ومن ادعى حب

النبى

النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلوى فهو كذاب كما قالت رابعة

تعصي الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وعلامة المحبة موافقة المحبوب واجتناب خلافه (حكي) ان جماعة دخلوا على الشبلي رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحباؤك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لم تهربون مني لو كنتم أحبائي لما فررتم من بلائي ثم قال الشبلي رحمه الله أهل المحبة شربوا بكاس الوداد فضاقت عليهم الارض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وتاهوا في عظمته وتحيروا في قدرته وشربوا بكاس حبه وغرقوا في بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ثم أنشد

ذكر المحبة يامولاي أسكرني * وهل رأيت محبا غير سكران

ويقال ان البعير اذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوما ولو حمل عليه أضعاف ما يحمله لحمله لانه اذا هاج في قلبه ذكر محبوبه لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه الى محبوبه فاذا كان من شأن الابل أن تترك شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لاجل محبوبها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لاجل الله وهل تركتم طعاما وشرابا الا لاجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملا ثقيلا الا لاجل الله تعالى فان لم تفعلوا شيأ من الخيرات فماذا كرتم فدعوا كم اسم بلا معنى لا تنفع في الدنيا ولا في العقبى ولا عند الخلق ولا عند الخالق وعن علي كرم الله وجهه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات ومن تيقن الموت هانت عليه اللذات (وسئل) ابراهيم الخواص عن المحبة فقال محو الارادات واحراق جميع الصفات والحاجات واغراق نفسه في بحر الاشارات

(الباب العاشر في العشق)

الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا فيتجاوز الى أن يكون رقيقا للمحبوب وينفق ما يملك لاجله ألا ترى الى زليخا لما بلغ بها من محبة يوسف عليه السلام ان ذهب مالها وجمالها وكان لها من الجواهر والقلائد وقر سبعين جملا وقد أنفقتها كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تغنيه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمي كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق واذا رفعت رأسها الى السماء رأت اسم يوسف مكتوبا على الكواكب وروي أنها لما آمنت وتزوجت به عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله تعالى فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفت به الى النهار وقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل أن أعرفه فاما اذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها ان الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت اليه (وحكي) أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له وما أو ماتت ليلى قال ان ليلى في قلبي لم تمت أنا ليلى ومر يوما على دار ليلى فنظر الى السماء فقيل له يا مجنون لا تنظر الى السماء ولكن انظر الى جدار ليلى لعلك تراها قال أنا أكتفي بنجم يقع ظله على دار ليلى *(وحكي)* عن منصور الحلاج رحمه الله تعالى انهم حبسوه ثمانية عشر يوما فجاءه

الشبلي رضي الله عنه فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسألني اليوم واسألني غدا فلما جاء الغد وأخرجوه من السجن ونصبوا النطع لاجل قتله مر الشبلي بين يديه فنادى يا شبلي المحبة أولها حرق وآخرها قتل (اشارة) لما تحقق الحلاج رضي الله عنه في نظره ان كل شيء ما خلا الله باطل وعلم ان الله هو الحق نسي عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فسئل من أنت قال أنا الحق (روي) ان صدق المحبة في ثلاث خصال أن يختار كلام حبيبه على كلام غيره ويختار مجالسة حبيبه على مجالسة غيره ويختار رضا حبيبه على رضا غيره كذا في المنتهى وقيل العشق هتك الاستار وكشف الاسرار والوجد عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يحس ولا يشعر (وحكي) ان رجلا كان يغتسل في الفرات فسمع رجلا يقرأ وامتازوا اليوم أيها المجرمون فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات وعن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فحمل ميتا قال الجنيد رحمه الله تعالى التصوف ترك الاختيار (وحكي) ان ذا النون المصري رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عريانا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلب حزين قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له من أنت يا غلام قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول قلت وأنا مثلك فبكى وبكيت أنا لبكائه قال أتبكي أنت فقلت أنا مثلك فبكى بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت روحه من ساعته فطرحت عليه ثوبي وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت اليه فلم أجده في مكانه فقلت سبحان الله فسمعت هاتفا يقول يا ذا النون ان هذا الغريب الذي طلبه الشيطان في الدنيا فما وجده وطلبه مالك فلم يره وطلبه رضوان في الجنة فما وجده قلت وأين هو قال فسمعت هاتفا يقول في مقعد صدق عند مليك مقتدر بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته كذا في زهرة الرياض (وسئل) بعض المشايخ عن المحب فقال قليل الخلطة كثير الخلوة دائم الفكرة ظاهر الصمت لا يبصر اذا نظر ولا يسمع اذا نودي ولا يفهم اذا كلم ولا يحزن اذا أصيب بمصيبة واذا أصيب بجوع فلا يدري ويعرى ولا يشعر ويشتم ولا يخشى يتذلل الى الله تعالى في خلوته ويأنس به ويناجيه ولا ينازع أهل الدنيا في دنياهم وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحبة أبياتا

لا تخدعن فللحبيب دلائل * ولديه من نحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه * وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن ترى من عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسما * والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفا * متحفظا من كل ما هو قائل

(حكاية) مر عيسى عليه السلام بشاب يسقي بستانا فقال الشاب لعيسى سل ربك أن يرزقني من محبته مثقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة فقال نصف ذرة فقال عيسى عليه السلام يا رب ارزقه نصف ذرة من محبتك فمضى عيسى عليه السلام فلما كان بعد مدة طويلة مر بمحل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب الى الجبال فدعا الله عيسى عليه السلام أن يريه اياه فرآه بين الجبال فوجده قائما على

بحر ونشا خصا طرفه الى السماء وسلم عليه عيسى عليه السلام ولم يرد عليه فقال يا عيسى فأوحى الله تعالى الى عيسى كيف نسمع كلام الآدميين من كان فى قلبه مقدار ذرة من محبتى وعزتى وجلالى لو قطعته بالمنشار لما علم بذلك * من ادعى ثلاثة ولم يتطهر من ثلاثة فهو مغرور أولها من ادعى حلاوة ذكر الله وهو يحب الدنيا وثانيها من ادعى محبة الاخلاص فى العمل ويحب تعظيم الناس له وثالثها من ادعى محبة خالقه من غير اسقاط نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتى زمان على أمتى يحبون خمسا وينسون خمسا يحبون الدنيا وينسون الآخرة ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون الخلق وينسون الخالق ويحبون الذنوب وينسون التوبة ويحبون القصور وينسون المقبرة وقال منصور بن عمار لشاب يعظه يا شاب لا يغررك شبابك فكم من شاب أخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته فقال الى أتوب غدا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو غافل عن التوبة فصار فى جوف القبر لا ينفعه مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم كما قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم اللهم ارزقنا التوبة قبل الموت ونبهنا عند الغفلة وانفعنا بشفاعة نبينا خير المرسلين صلى الله عليه وسلم صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ويندم على ما فعل من ذنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالاخلاص * حكاية * كان رجل بخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تتصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أهل الدار بحق الله الا أعطيتمونى شيأ فأعطته المرأة ثلاثة أرغفة واستقبلها المنافق وقال من أعطاك هذه الأرغفة قال أعطونى من الدار العلانية فكانت داره فدخل المنافق داره وقال لامرأته ألست قد حلفت عليك أن لا تعطى أحدا شيأ فقالت أعطيت لأجل الله عز وجل فذهب المنافق وأوقد التنور حتى حمى ثم قال قومى وألقى نفسك فى التنور لأجل الله فقامت المرأة وأخذت حليها فقال المنافق دعى الحلى فقالت المرأة الحبيب يتزين لحبيبه وأنا زائرة لحبيبى ثم ألقت نفسها فى التنور فاطبق المنافق عليها ومضى فلما تم لها ثلاثة أيام جاء المنافق ففتح عليها رأس التنور ورأى المرأة سالمة بقدرة الله تعالى فتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول أما علمت ان النار لا تحرق أحبابنا (وحكى) ان آسية امرأة فرعون كانت تكتم ايمانها من فرعون فلما اطلع فرعون على ايمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بأنواع العذاب وقال ارتدى فلم ترتد فأتى بأوتاد وضربوها على أعصابها ثم قال ارتدى فقالت انك تغلب نفسى وقلبى فى عصمة ربى لو قطعتنى اربا اربا ما ازددت الا حبا فمر موسى عليه السلام بين يديها فنادت موسى أخبرنى أراض عنى ربى أم ساخط قال موسى عليه السلام يا آسية ملائكة السموات فى انتظارك أى مشتاقة اليك والله يباهى بك فاسأليه حاجتك فانها مقضية فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين وعن سلمان رضى الله عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة وعن أبى هريرة ان فرعون وتد لامرأته أربعة أوتاد وأضجعها وجعل على صدرها رحى واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء فقالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة الآية قال الحسن فنجاها الله أكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهى تأكل وتشرب وفيه دليل على أن الاستعادة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وديدن المؤمنين

* الباب الحادى عشر فى طاعة الله ومحبته ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم *

قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله اعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ولرسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إنعامه عليهم بالغفران قيل العباد اعلم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وإن كل ما يراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحث على طاعته وعن الحسن قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله هذه الآية وعن بشر الحافي رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا بشر أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابك وأهل سنتي واتباعك لسنتي قال صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة وجاء في الآثار المشهورة أن المتمسك بسنة سيد الخلائق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الإسلام وقال كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على سنتي فهو معصية وقال بعضهم لو رأيت شيخا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السنن عامدا فاعلم أنه كذاب في دعواه وليس فعله كرامة بل هو استدراج نعوذ بالله منه قال الجنيد رحمه الله ما وصل أحد إلى الله إلا بالله والسبيل إلى الوصول إلى الله متابعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقال أحمد الحواري رحمه الله كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال صلى الله عليه وسلم من ضيع سنتي حرمت عليه شفاعتي كذا في شرعة الإسلام (حكي) أن رجلا رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروفا الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رأيته من مجانينهم (وحكي) عن الجنيد أنه قال مرض أستاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال أراه بول عاشق قال الجنيد فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السري وأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتبين المحبة في البول قال نعم قال الفضيل رحمه الله إذا قيل لك أتحب الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله تعالى وقال سهل رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حبه صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة قال أبو الحسن الزنجاني أصل العبادة على ثلاثة أركان العين والقلب واللسان فالعين بالعبرة والقلب بالفكرة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا يعني غدوا وعشيا (حكي) أن عبد الله وأحمد بن حرب حضرا موضعا فقطع أحمد بن حرب قطعة من حشيش الأرض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك وعودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله تعالى وجعلت ذلك طريقا يقتدي بك فيه ومنعته عن تسبيح ربه وألزمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة كذا في رونق المجالس وعن السري رضي الله عنه قال رأيت مع الجرجاني سويقا

يستغفر منه فقلت لما دا الا تأكل طعاما غيره قال انى حسبت ما بين المضغ والاستفاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وكان سهل بن عبد الله يأكل فى كل خمسة عشر يوما مرة فاذا دخل رمضان لم يأكل فيه الا أكلة واحدة ويصبر فى بعض الاوقات عن الطعام سبعين يوما وكان اذا أكل ضعف واذا جاع قوى وجاور أبو حماد الاسود فى المسجد الحرام ثلاثين سنة وما رؤى انه أكل أو شرب ولا يخلو ساعة من ذكر الله (وحكى) أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله الا لثلاث للصلاة مع الجماعة ولعيادة المريض ولحضور الجنازة ويقول رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغى أن تملأ منه خزانة باقية فى الآخرة واعلموا أن طالب الآخرة لا بد له من الزهد فى الحياة الدنيا ليصير همه هما واحدا ولا يفترق باطنه من ظاهره ولا يمكن حفظ الحال الا بضبط الظاهر والباطن قال الشبلى رحمه الله وكنت أول بدايتى اذا غلبنى النوم اكتحلت بالملح فاذا زاد على الامر أحمى الميل فأكتحل به (وحكى) عن ابراهيم بن الحاكم انه قال كان أبى اذا جاءه النوم دخل البحر ويسبح فتجتمع اليه حيتان البحر يسبحون معه (وحكى) أن وهب بن منبه دعا الله أن يرفع عنه النوم بالليل فذهب عنه النوم أربعين سنة وكان حسن الحلاج قيد نفسه من كعبه الى ركبته بثلاثة عشر قيدا وكان يصلى مع ذلك كل يوم وليلة ألف ركعة وكان الجنيد يأتى الى السوق فى بداية أمره فيفتح حانوته فيدخله ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يرجع الى بيته وصلى حبشى بن داود صلاة الغداة أربعين سنة على طهر العشاء فينبغى للمؤمن أن يكون دائما على الطهارة وكلما أحدث ذ طهر ويصلى ركعتين ويجتهد أن يستقبل القبلة فى كل مجلسه ويتصور فى نفسه انه جالس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدر الحضور والمراقبة حتى يلازم السكينة والوقار فى الفعل ويحتمل الاذى ولا يقابل المسىء ويستغفر لكل مسىء ولا يعجب بنفسه ولا بعمله فان العجب من صفة الشيطان وينظر الى نفسه بعين الحقارة ويرى الصالحين بعين الاحترام والتعظيم فمن لم يعرف حرمة الصالحين حرمه الله تعالى صحبتهم ومن لم يعرف حرمة الطاعة نزع من قلبه حلاوتها * سئل الفضيل بن عياض فقيل له يا أبا على متى يكون الرجل صالحا قال اذا كانت النصيحة فى نيته والخوف فى قلبه والصدق فى لسانه والعمل الصالح فى جوارحه قال الله تعالى فى معراج النبى صلى الله عليه وسلم يا أحمد ان أحببت أن تكون أورع الناس فازهد فى الدنيا وارغب فى الآخرة فقال الهى كيف أزهد فى الدنيا فقال خذ من الدنيا بقدر الطعام والشراب واللباس ولا تدخر لغد ودم على ذكرى فقال يا رب كيف أدوم على ذكرك فقال بالخلوة عن الناس واجعل نومك الصلاة وطعامك الجوع وقال صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها تكثر الهم والحزن حب الدنيا رأس كل خطيئة والزهد فيها رأس كل خير وطاعة *وحكى* ان بعض الصالحين مر على جماعة فاذا طبيب يصف الداء والدواء فقال يا معالج الاجسام هل تعالج القلوب فقال الطبيب نعم صف لى داءه فقال قد أظلمته الذنوب فقسا وجفا فهل له من علاج فقال الطبيب علاجه التضرع والابتهال والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار والمبادرة الى طاعة العزيز الغفار والاعتذار الى الملك الجبار فهذه معالجة القلوب والشفاء من علام الغيوب فصاح الرجل الصالح ومضى باكيا وقال نعم الطبيب أنت أصبت علاج قلبى فقال الطبيب هذا معالجة قلب من تاب ورجع بقلبه الى البر التواب *وحكى* ان رجلا اشترى غلاما فقال الغلام يا مولاى ان لى معك ثلاثة شروط أحدها أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة اذا جاء وقتها والثانى أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل والثالث أن تجعل لى منزلا فى بيتك لا يدخله غيرى فقال له الرجل لك هذه

الشروط ثم قال الرجل انظر في البيوت فطاف الغلام فوجد فيها بيتا خرابا فقال أحدث هذا فقال يا غلام اخترت بيتا خرابا فقال الغلام يا مولاي أما علمت أن الخراب مع الله بستان فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ بالليل لعبادة ربه سبحانه وتعالى فبينما هو كذلك إذ طاف مولاه ذات ليلة في الدار فبلغ حجرة الغلام فإذا هي منورة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق بين السماء والأرض والغلام يناجي ربه ويتضرع ويقول إلهي أوجبت على حق مولاي وخدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلي ولا نهاري إلا بخدمتك فاعذرني يا رب ومولاه ينظر إليه حتى انفجر الصبح ورد القنديل وانضم سقف البيت فرجع وأخبر امرأته بذلك فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاءا إلى باب الحجرة فإذا الغلام في السجود والقنديل على رأسه فوقفا على الباب ينظران إليه ويبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر إليه فرفع الغلام يديه إلى السماء وقال

يا صاحب السر إن السر قد ظهرا * ولا أريد حياتي بعدما اشتهرا

ثم قال إلهي أسألك الموت فخر الغلام ميتا هكذا أحوال الصالحين والعاشقين والطالبين وفي زهر الرياض ان موسى عليه السلام كان له صديق يأنس به فقال ذات يوم يا موسى ادع الله أن يعرفني إياه حق معرفته فدعا موسى عليه السلام فاستجيب له فلحق صاحبه بالجبال مع الوحوش وفقده موسى فقال يا رب أخي ومؤنسي فقدته فقيل له يا موسى من عرفني حق معرفتي لا يصحب مخلوقا أبدا وجاء في الأخبار ان يحيى وعيسى عليهما السلام كانا يمشيان في السوق فصدمهما امرأة فقال يحيى والله ما شعرت بذلك فقال عيسى سبحان الله بدنك معي وقلبك أين قال يا ابن الخالة لو اطمأن قلبي إلى غيره طرفة عين لظننت اني ما عرفت الله وقال صدق المعرفة أن يطلق الدنيا والعقبى ويتجرد للمولى وأن يسكر من شراب المحبة فلا يصحو إلا عند الرؤية فهو على نور من ربه

الباب الثاني عشر في ذكر إبليس وعداوته

قال الله سبحانه وتعالى فإن تولوا أي أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فإن الله لا يحب الكافرين يعني لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم كما لم يقبل توبة إبليس لكفره واستكباره وتاب على آدم عليه السلام وقبل توبته لأنه أقر على نفسه بالذنب وندم عليه ولام نفسه وهذا وإن لم يكن ذنبا حقيقة لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون لا تقع منهم المعصية أبدا لا قبل النبوة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء عليهما السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وإبليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقنط من رحمة الله تعالى وتكبر فمن كان حاله مثل حال إبليس لم تقبل توبته ومن كان حاله مثل حال آدم قبل الله توبته لأن كل معصية أصلها من الشهوة فإنه يرجى غفرانها وكل معصية أصلها من الكبر فإنه لا يرجى غفرانها ومعصية آدم أصلها من الشهوة ومعصية إبليس أصلها من الكبر (حكي) ان إبليس جاء إلى موسى عليه السلام فقال له أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما فقال له موسى نعم فما الذي تريد يا هذا ومن أنت فقال إبليس يا موسى قل لربك خلق من خلقك قد سألك التوبة فأوحى الله إلى موسى قل له إني قد استجبت لك فيما سألت ومره يا موسى أن يسجد لقبر آدم فإذا سجد له قبلت توبته وغفرت له ذنوبه فأخبره موسى فغضب

ابليس واستكبر وقال ياموسى الم أسجد له فى الجنة فكيف أسجد له وهو ميت (روى) ان ابليس يشتد عليه العذاب فى النار فيقال له كيف وجدت عذاب الله فيقول أشد ما يكون فيقال له ان آدم فى رياض الجنة فاسجد له واعتذر حتى نعفو عنك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ألف ضعف وجاء فى الخبر ان الله تعالى يخرج ابليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده الى النار اخوانى ان أردتم النجاة من ابليس فاعتصموا بالمولى واستعيذوا به اذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه ابليس عليه اللعنة فتجتمع الشياطين والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينهق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما وعد ربكم قالوا حقا ثم يقول هذا يوم أيست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يضربوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهوون فيها أربعين سنة ولا يسمعون الامر بالخروج أبدا الآبد نعوذ بالله منها وورد انه يؤتى بابليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق اللعنة ويأمر الله عز وجل الزبانية أن يجروه عن الكرسى ويلقوه فى النار فيتعلقون به ليلقوه ولا يقدرون ثم يأمر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك ولا يقدرون ثم يأمر اسرافيل ثم عزرائيل أيضا ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك ولا يقدرون فيقول الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أضعاف ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن يقلوه وطوق اللعنة على عنقه (وروى) ان ابليس كان اسمه فى سماء الدنيا العابد وفى الثانية الزاهد وفى الثالثة العارف وفى الرابعة الولى وفى الخامسة التقى وفى السادسة الخازن وفى السابعة عزازيل وفى اللوح المحفوظ ابليس وهو غافل عن عاقبة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أتفضله على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء فرأى لنفسه شرفا فولى آدم ظهره أنفة وكبرا وانتصب قائما الى أن سجدت الملائكة المدة المذكورة فلما رفعوا رؤسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وفقوا للسجود سجدوا ثانيا شكرا وهو قائم يرى معرضا عنهم غير عازم على الاتباع ولا نادم على الامتناع فمسخه الله من الصورة البهية فنكسه كالخنزير وجعل رأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير ووجهه بينهما كوجه القردة وعينيه مشقوقتين فى طول وجهه ومنخريه مفتوحتين ككوز الحجام وشفتيه كشفتى الثور وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفى لحيته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الارض الى الجزائر فلا يدخل الارض الا خفية ولعنه الى يوم الدين لانه صار من الكافرين وانظر كان بهى الصورة ناهى الاجنحة كثير العلم كثير العبادة طاوس الملائكة وأعظمهم سيد الكروبيين الى غير ذلك فلم يغن ذلك عنه شيأ ان فى ذلك لذكرى (وفى الاثر) لما مكر بابليس بكى جبريل وميكائيل فقال الله لهما ما يبكيكما قالا ربنا ما أمنا مكرك فقال تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكرى (وروى) ان ابليس قال يارب أخرجتنى من الجنة لاجل آدم وانى لا أقدر عليه الا بتسليطك قال أنت مسلط عليه أى على أولاده لعصمة الانبياء منه قال ردنى قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال ردنى قال صدورهم مساكن لك تجرى فيها مجرى الدم قال ردنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك أى استعن عليهم بأعوانك من راكب وماش وشاركهم فى الاموال أى بحملهم على كسبها وصرفها فى الحرام والاولاد أى بالحث على التوصل اليهم بالسبب المحرم كالوطء فى الحيض والاشراك فيهم بتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الباطلة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم أى المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الامل

وهـذا على طريق التهديد كاعملوا ما شئتم فقال آدم يارب قد سلطته علي فلا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من الملائكة قال ردني قال الحسنة بعشر أمثالها قال ردني قال لا أحجب عنهم التوبة مادامت أرواحهم في أبدانهم قال ردني قال أغفر لهم ولا أبالي قال اكتفيت فقال ابليس يارب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلي قال الكهان قال فما كتبي قال الوشم قال فما حديثي قال الكذب قال فما قرآني قال الشعر قال فما مؤذني قال المزمار قال فما مسجدي قال الاسواق قال فما بيتي قال الحمام قال فما طعامي قال الذي لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال السكر قال فما مصايدي قال النساء

(الباب الثالث عشر في الامانة)

قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها أي امتنعن من قبولها وأشفقن منها أي خفن من الامانة أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب أو خفن من الخيانة فيها ومعنى الامانة في هذه الآية الطاعة والفرائض التي يتعلق بادائها الثواب والعقاب قال القرطبي الامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور واختلف في تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود هي في أمانة الاموال كالودائع وغيرها وروي عنه انها في كل الفرائض وأشدها أمانة المال وقال أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج أمانة والاذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له (قال الحسن) ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال فاضطربت وما فيها فقال الله لها ان أحسنت أجرتك وان أسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقال ذلك فقال قد حملتها ولا يخفى ان عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال عرض تخيير لا عرض الزام ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها وقال القفال وغيره العرض في هذه الآية ضرب مثل أي ان السموات والارض والجبال على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أي ان التكليف أمر عظيم حقه أن تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان كما قال تعالى (وحملها الانسان) أي التزم حفظها آدم بعد عرضها عليه في عالم الذر عند خروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) أي وهو في ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه وعن ابن عباس قال عرضت الامانة على آدم فقيل خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها فما كان الا مابين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تداركه الله برحمته فتاب عليه وهدى والامانة مشتقة من الايمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله ايمانه قال صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له وقال الشاعر

بنا لمن رضي الخيانة مهيعا * وازور عن صون الامانة جانبه
رفض الديانة والمروءة واعتدى * تترى عليه من الزمان مصائبه

(وقال آخر)

أخلق بمن رضي الخيانة شيمة * ان لا يرى الا صريع حوادث

ما زالت الأرزاء يسرى نؤسها * أبداً بغادر دمنة أو ناكث

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرماً وقال صلى الله عليه وسلم أد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك (وفي الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان أي اذا ائتمنه أحد بكلمة خانه بافشائها للناس أو بوديعة خانه بانكارها وعدم حفظها أو استعمالها بغير اذنه فحفظ الأمانة صفة الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وشيمة الأبرار المتقين قال الله سبحانه وتعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها قال المفسرون هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشرع والمخاطب بها عموم المكلفين الولاة وغيرهم فيجب على الولاة انصاف المظلوم واظهار حقه وذلك أمانة وحفظ أموال المسلمين لاسيما اليتامى ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم فهي أمانة اختار لحفظها العلماء ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب اذ هو أمانة عنده قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته (وفي زهر الرياض) يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى أرددت أمانة فلان فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكاً فيأخذ بيده ويطلق به الى جهنم ويريه الأمانة بعينها في قعر جهنم فيهوي فيها سبعين عاماً حتى ينتهي الى قعرها ثم يصعد بالأمانة فاذا بلغ أعلى جهنم زلت قدمه ويهوي فيها كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيرضي عنه صاحب الأمانة وروي عن سلمة قال بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتى بجنازة ليصلي عليها فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى بجنازة أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيأ فقالوا ثلاثة دنانير فصلى عليها ثم أتى بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم هل ترك شيأ قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وعن قتادة رضي الله عنه قال قال رجل يارسول الله أرأيت ان قتلت في سبيل الله صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر يكفر الله عني خطاياي قال نعم فلما أدبر الرجل ناداه فقال يغفر الله للشهيد كل ذنب الا الدين

﴿الباب الرابع عشر في اتمام الصلاة بالخضوع والخشوع﴾

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون اعلم ان الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وقد اختلفوا في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين واستدل من قال بالأول بحديث ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وبقوله تعالى أقم الصلاة لذكري والغفلة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى ولا تكن من الغافلين (أخرج) البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الآية وزاد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى ببصره نحو مسجده وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأطأ رأسه وروي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى عليه من الدرن شيء يعني ان الصلوات

تطهر من الذنوب ولا تبقى منها شيئا فيما دون الكبائر وهذا اذا صلى بخشوع وحضور قلب والا فهي مردودة عليه وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشئ من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير اذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (وروى) ان عليا كرم الله وجهه كان اذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له ما لك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها وروى عن علي بن الحسين انه كان اذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم (وروى) عن حاتم الاصم انه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم الى الصلاة وأجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأظنها آخر صلاتي ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الايسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه وقال صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأسوء الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذي يسرق من صلاته قالوا وكيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وقال صلى الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان كان قد أتمها هون عليه الحساب وان كان قد انتقص منها شيئا قال الله تعالى للملائكة هل لعبدي من تطوع فأتموا الفريضة منه وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له في ركعتين يصليهما وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا أراد القيام الى الصلاة ترتعد فرائصه وتصطك أسنانه فقيل له في ذلك فقال حان وقت أداء الامانة وقضاء الفريضة ولا أدري كيف أؤديها ﴿وحكى﴾ عن خلف بن أيوب انه كان قائما في الصلاة فلدغه زنبور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فأعلمه بذلك فغسل ثوبه فقيل له بلدغك زنبور ويسيل منك الدم ولم تشعر به فقال أيشعر مثل هذا من يكون واقفا بين يدي الملك الجبار وملك الموت على قفاه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه * ووقعت الاكلة في يد عمرو بن در وكان جليلا في الزهد والعبادة فقال له الاطباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال

اقطعوها

اقطعوها فقالوا لا نقدر على قطعها الا أن نشدك بالحبال فقال لا ولكن اذا شرعت فى الصلاة فاقطعوها حينئذ فلما دخل فى الصلاة قطعت يده ولم يشعر بذلك

﴿الباب الخامس عشر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر﴾

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس المصلى غمامة بيضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تمطر فاذا أمطرت فأى قطرة قطرت على الارض يخلق الله الذهب منها وأى قطرة قطرت على الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الايمان (قال الله سبحانه وتعالى) كنتم خير أمة أخرجت للناس قال الكلبى هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الامة فى الفضل على غيرها من الامم وفيها دليل على أن هذه الامة الاسلامية خير الامم على الاطلاق وان هذه الخيرية مشتركة بين أول هذه الامة وآخرها بالنسبة الى غيرها من الامم وان كانت متفاضلة فى ذاتها كما ورد فى فضل الصحابة على غيرهم ومعنى أخرجت أظهرت للناس أى لنفعهم ومصالحهم فى جميع الاعصار حتى تميزت وعرفت وقوله تعالى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير امم مايشتمل عليه مع انهم خير أمة ما أقاموا على ذلك واتصفوا به فاذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر زال عنهم ذلك فجعلهم الله خير الناس للناس لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون الكفار ليسلموا فترجح منفعتهم على غيرهم كما قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس وشر الناس من يضر الناس (تؤمنون بالله) أى تصدقون بتوحيد الله وتثبتون على ذلك وتقرون أن محمدا نبى الله لان من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمن بالله لانه يزعم ان الآيات المعجزات التى أتى بها من عند نفسه وقال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان يعنى أضعف فعل أهل الايمان قال بعضهم التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعوام وقال بعضهم كل من يقدر على ذلك فالواجب عليه أن يغيره كما قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان الآية ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير اليه وسد سبيل الشرور والعدوان بحسب الامكان وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمانا وايمانا ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى الارض وخليفة كتابه وخليفة رسوله * عن حذيفة رضى الله عنه قال يأتى على الناس زمان لان تكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم قال موسى يارب ماجزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قال أكتب له بكل كلمة عبادة سنة وأستحيى أن أعذبه بنارى (وفى الحديث القدسى) يقول الله تعالى يا ابن آدم لاتكن ممن يؤخر التوبة ويطول الأمل ويرجع الى الآخرة بغير عمل يقول قول العابدين ويعمل عمل المنافقين ان أعطى لم يقنع وان منع لم يصبر ويحب الصالحين وليس منهم ويبغض المنافقين وهو منهم يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر ولم ينته عنه وعن على كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيأتى قوم فى آخر الزمان أحداث الاسنان نواقص العقل يقولون من قول خير البرية لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت

ليلة أسري بي الى السماء رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء
خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم كما قال الله تعالى في حقهم (أتأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) يعني تتلون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكانوا
يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون ويجب على المؤمنين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ولا ينسون
أنفسهم كما قال الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويقيمون الصلاة) الآية فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف فالذي هجر الأمر بالمعروف
خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقد ذم الله أقواما بترك الأمر بالمعروف فقال (كانوا
لا يتناهون عن منكر فعلوه) يعني لا ينهى بعضهم بعضا (لبئس ما كانوا يفعلون) روي عن أبي الدرداء رضي
الله عنه أنه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم
ولا يرحم صغيركم ويدعو أخياركم فلا يستجاب لهم ويستنصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر
لهم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب الله أهل قرية فيها ثمانية
عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر وقال أبو ذر الغفاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله هل من جهاد
غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا بكر إن لله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل
من الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما
تزينت أم سلمة لرسول الله فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ومن هم قال الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد ليكون في
الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثلثمائة باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على
كل باب نور وإن الرجل منهم ليتزوج بثلثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى
واحدة منهن فنظر اليها تقول له أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر وكلما التفت
الى واحدة منهن ذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر (وفي الخبر) أن الله تعالى قال
يا موسى هل عملت لي عملا قط قال إلهي صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحمدتك
وقرأت كتابك وذكرتك قال الله تعالى يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة
فلك ظل وأما التسبيح فلك أشجار في الجنة وأما قراءة كتابي فلك حور وقصور وأما الذكر فلك نور فأي عمل
عملت لي قال موسى دلني يا رب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عاديت لي
عدوا قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب لله والبغض لله لأعدائه وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي
الله عنه قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل قال رجل قام الى وال جائر فأمره بالمعروف
ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش وقال الحسن البصري
رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل شهداء أمتي رجل قام الى إمام جائر فأمره بالمعروف
ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر * أوحى الله الى يوشع بن نون
عليه السلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء
الأشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وعن أنس رضي الله عنه قال
قلنا يا رسول الله ألا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله

عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله وأوصى بعض السلف بنيه فقال اذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الاذى

﴿الباب السادس عشر في عداوة الشيطان﴾

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلازم مجالستهم ويسأل ما لا يعلمه ويتعظ بمواعظهم ويجتنب الاعمال القبيحة ويتخذ الشيطان عدوا كما قال الله تعالى (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أى فعادوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في معاصي الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم واذا فعلتم فعلا فتفقدوا فيه فانه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبائح واستعيذوا عليه بربكم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذه سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فبين لنا صلى الله عليه وسلم كثرة طرق الشيطان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها ان دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى في قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها وأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال عاذا قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له الشيطان اني برئ منك فهو الذي قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني برئ منك (وروى) ان ابليس سأل الشافعي رضي الله عنه ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلني الجنة وان شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار فتفطن في كلامه ثم قال يا هذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل فاضمحل الى أن صار لا شئ ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسئلتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية (واعلم) ان مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولى عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدريها فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة (منها) الغضب والشهوة فان الغضب غول العقل واذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة وقد ذكر أن بعض الاولياء قال لابليس أرني كيف تغلب ابن آدم فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى (ومنها) الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على كل شئ أعماه حرصه وأصمه فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روى

ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك فقال له نوح اخرج منها يا عدو الله فانك لعين فقال له ابليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله الى نوح انه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنتان فقال هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت رجيما وأما الحرص فانه أبيح لآدم الجنة كلها الا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص (ومنها) الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات وهي أسلحة الشيطان فقد روى ان ابليس ظهر ليحيى عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبدا فقال له ابليس ولله علي أن لا أنصح مسلما أبدا (ومنها) حب التزين من الأثاث والثياب والدار فان الشيطان اذا رأى ذلك غالبا على قلب الانسان باض فيه وفرخ فلا يزال يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره فاذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود اليه ثانية فان بعض ذلك يجره الى البعض الى أن يساق اليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نعوذ بالله (ومنها) الطمع في الناس فقد روى صفوان بن سليم أن ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا أعلمك به فقال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا أخذت وان كان شرا رددت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت فاني أملكك اذا غضبت (ومنها) العجلة وترك التثبت في الامور قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى فعند الاستعجال يروج الشيطان شره على الانسان من حيث لا يدري فقد روى انه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتت الشياطين ابليس فقالوا له أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا حادث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافقي الارض فلم يجد شيأ فوجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا بالملائكة حافين به فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا وأنا حاضرها الا هذا فايئسوا من ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة (ومنها) الدراهم والدنانير وسائر أصناف الاموال من العروض والدواب والعقار فان كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البناني لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤه وقالوا ما ندري قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحق ذلك فقال لهم ابليس رويدا بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا وروى أن عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عيسى صلى الله عليه وسلم فرمى به من تحت رأسه وقال هذا لك مع الدنيا (ومنها) البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال وهي معشش الشياطين

(ومنها) التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا قال الحسن رضي الله عنه بلغنا أن ابليس قال سولت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها (ومنها) سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الأشرار فهما رأيت انسانا يسيء الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطنا وأن ذلك خبثه يترشح منه فيجب على الانسان قطع هذه الأبواب من القلب وبعينه عليها ذكر الله تعالى (قال ابن اسحق) لما رأى كفار قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له صلى الله عليه وسلم أصحاب من غيرهم حذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وسميت بذلك لاجتماع الندى فيها يتشاورون وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها ولا يدخلون فيها غير قرشي الى أن يبلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد دخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البختري المقتول كافرا شدوا احبسوه في الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لو حبستموه في الحديد ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه ولأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره فقال أبو الأسود ربيعة بن عمرو العامري نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا ولا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه في القبائل ولا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فعقله لهم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه وأمر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطى ببرده صلى الله عليه وسلم الأخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك فكان علي أول من شرى نفسه في الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه (شعر)

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر
وبت أراعيهم وما يتهموني * وقد وطنت نفسي على القتل والأسر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم
كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث
أراد فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله والله خرج عليكم ثم
ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه
فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي من الفراش فقالوا لقد
صدقنا الذي كان حدثنا وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية (شعر)

لا تجزعن فبعد العسر تيسير * وكل شيء له وقت وتقدير
وللمقدر في أحوالنا نظر * وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل
صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر
رضي الله عنه (روى) الحاكم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر
معي قال أبو بكر الصديق وأخبر صلى الله عليه وسلم عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه
الودائع التي كانت عنده للناس قالت عائشة رضي الله عنها فبينما نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر في نحر
الظهيرة أي أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار وروى الطبراني في حديث أسماء كان النبي
صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقلت
يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي مغطيا رأسه في ساعة لم يكن يأتينا فيها قال أبو بكر
رضي الله عنه فدى له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة الا أمر قالت عائشة رضي الله عنها فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لأبي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك يعني عائشة وأسماء
وفي رواية فقال أبو بكر لا عين عليك انما هما ابنتاي فقال صلى الله عليه وسلم فانه قد أذن لي في
الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة
رضي الله عنها فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أن أحدا يبكي من الفرح فقال أبو بكر
فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال صلى الله عليه وسلم لا الا بالثمن وفي
رواية فقال ثمنها ان شئت وانما أخذها بالثمن لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى
بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى قالت عائشة
فجهزناهما أحث أي أسرع الجهاز وفي رواية أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة أي زادا في جراب زاد
الواقدي انه كان في السفرة شاة مطبوخة قالت فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم
الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين تثنية نطاق بكسر النون ما يشد به الوسط قالت عائشة رضي الله عنها
ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور فكمنا فيه ثلاث ليال وهو جبل بمكة نزله ثور بن
عبد مناة فنسب له وروى أنهما خرجا من خوخة أي باب صغير لأبي بكر في ظهر بيته ليلا الى الغار وروى
ان أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا قالت أسماء بنت أبي بكر وخرج أبو بكر بماله
خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا

القافة جمع قائف وهو الذي يعرف الاثر فى كل وجه فوجد الذي ذهب جهة ثور رأوه هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع الاثر لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروى القاضي عياض انه صلى الله عليه وسلم ناداه ثبير اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب فناداه حراء الى يارسول الله وروى انه لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهي شجرة معروفة بأم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وان الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار فعششتا على بابه وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقا لما حصل منهما الحماية جوزيا بالنسل وحمايته فى الحرم فلا يتعرض له ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعلم ان الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد لو دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها حتى عمى على القائف الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شئ
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

(وروى الشيخان عن أنس قال حدثني أبو بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لو أن احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وذكر بعض أهل السير ان أبا بكر لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وعن الحسن البصري بلاغا أن أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي امامك فقال لو كان شئ أحببت ان تقتل دوني قال أى والذي بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقى جحر فوضع عقبه عليه لئلا يخرج ما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر ونام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبى وأمى فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ولقد أحسن حسان بن ثابت رضى الله عنه حيث قال

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال وذلك من أول ربيع الاول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت منه (حكى) ان زاهدا من الزهاد

اسمه ركن يا مريض مرضا شديدا وداود ناوقت أجله فأتاه صديقه في سكرات الموت ولقنه لا اله الا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا فأعرض فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشي على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة ففتح عينيه فقال هل قلتم لى شيأ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت في مرتين وقلت في الثالثة لا أقول فقال أتاني ابليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وهو يحرك القدح فقال لى أتحتاج الى الماء قلت بلى قال قل عيسى بن الله فأعرضت عنه ثم أتاني من قبل رجلي فقال لى كذلك فأعرضت عنه وفي الثالثة قال لى كذلك فقلت لا أقول فضرب القدح على الارض وولى هاربا فأنا أرددت على ابليس لا عليكم فأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال سأل بعضهم ربه ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس اللهم لا تسلط علينا شيطانا مريدا ولا لسانا حسودا وأعنا على ذكرك وشكرك بجاه خاتم أنبيائك ورسلك صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم

(الباب السابع عشر في بيان الامانة والتوبة)

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما سفيان الثوري يطوف اذ رأى رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم قال فقلت له يا هذا انك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك في هذا شيء قال من أنت عافاك الله فقلت أنا سفيان الثوري قال لولا انك أزهد أهل زمانك ما أخبرتك عن حالي ولا أطلعتك على سري ثم قال لي خرجت ووالدي حاجا الى بيت الله الحرام حتى اذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فقمت بشأنه حتى مات فاسود وجهه فقلت انا لله وانا اليه راجعون وغطيت وجهه فغلبتني عيناى فنمت حزينا فرأيت رجلا لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي فكشف الازار عن وجهه وأمر يده على وجهه فابيض ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله على والدي بك في أرض الغربة قال أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما ان والدك كان مسرفا على نفسه ولكن كان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث لمن أكثر الصلاة على فانتبهت فاذا وجه أبي قد ابيض (وروى) عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نسى الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة (اعلم) ان الامانة مأخوذة من الأمن لانه يؤمن معها من منع الحق وضدها الخيانة من الخون وهو النقص لانك اذا خنت أحدا في شيء فقد أدخلت عليه النقصان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والخديعة والخيانة في النار وقال صلى الله عليه وسلم من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو ممن كملت مروأته وظهرت عدالته ووجبت أخوته ومدح أعرابي قوما فقال شعروا عن الامانة فلا يغدرون بذمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خيرامة أقول وهؤلاء الذين مدحهم الاعرابي قد انقرضوا فلم يبق في هذه الازمان الا ذئاب في ثياب كما قال

عن يشق الأسباب فيما بينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجساد هن ثياب

(وكما قال آخر)

ذهب الذين يقال عند فراقهم * ليت البلاد وما بها تتصدع

وعن حذيفة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الامانة سترفع ويصبح الناس يتبايعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الامانة وحتى يقال ان في بني فلان أمينا (واعلم) أن التوبة واجبة بالاخبار والآيات قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الآية ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خاليا عن الشوائب مأخوذ من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فأوحى الله اليه يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى أن حبشيا قال يا رسول الله اني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيآت كما يذهب الماء الوسخ وعن سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى انه كان للأوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله تعالى بشر المذنبين بأنهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب ويروى أن نبيا من الانبياء أذنب فأوحى الله اليه وعزتي لئن عدت لأعذبنك فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك ان لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى ويروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم

التفت إليه فرأى عينيه تذرفان فقال إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس (ويروى) أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصه أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك (وروى) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوي عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الأرض ومقامه من السماء ليجيء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه وروي عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (واعلم) أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فوراً فإن الإصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر قال الله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا نادما غير عازم على العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مزبلة بسط عليها ديباج والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها فإذا كشف عنها الغطاء أعرضوا عنها فكذلك الخلق ينظرون إلى أهل الطاعة الظاهرة فإذا كشف الغطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس بتائب أي لأنه لم يحكم أبواب التوبة من الندم والعزم على عدم العود ورد المظالم لأربابها إن أمكن واستحلالهم منها إن تيسر وإلا أكثر من الاستغفار له ولهم عسى الله أن يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أعظم المصائب فعلى العاقل أن يحاسب نفسه ولا ينسى ذنبه كما قيل

يا أيها المذنب المحصي جرائمه * لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا

وتب إلى الله قبل الموت وانزجرا * يا عاصيا واعترف إن كنت معترفا

(وروى الفقيه أبو الليث) بسنده قال دخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخله يا عمر قال فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا شاب قال يا رسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أأشركت بالله شيئا قال لا قال أقتلت نفسا بغير حق قال لا قال فإن الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والأرضين والجبال قال يا رسول الله ذنبي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم يا رسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم إلهك يعني عفو الله قال بل الله أعظم وأجل قال فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم يعني عظيم التجاوز ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني عن ذنبك قال إني أستحي منك يا رسول الله قال بل أخبرني قال يا رسول الله إني كنت أنبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الأنصار فنبشت قبرها وأخذت كفنها ومضيت غير بعيد وغلب الشيطان علي فرجعت فجامعتها ثم مضيت غير بعيد وإذا بالجارية قامت وقالت ويلك يا شاب أما تستحي من ديان يأخذ للمظلوم من الظالم

تركتني عريانة في عسكر الموتى وأوقفتني حسابين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدفع في قفاه ويقول يا فاسق ما أحوجك الى النار اخرج عني فخرج الشاب تائبا الى الله تعالى أربعين ليلة فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسه الى السماء وقال يا اله محمد وآدم وابراهيم ان كنت غفرت لي فاعلم محمدا وأصحابه صلى الله عليه وسلم والا فارسل نارا من السماء فاحرقني بها ونجني من عذاب الآخرة قال فهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هو الذي خلقني وخلقهم ورزقني ورزقهم قال جبريل عليه السلام يقول لك الله تعالى اني تبت على الشاب فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الشاب وبشره بأن الله تعالى تاب عليه (حكي) أنه كان في زمن موسى عليه السلام رجل لا يستقيم على التوبة كلما تاب أفسد فمكث على ذلك عشرين سنة وأوحى الله تعالى الى موسى قل لعبدي فلان اني غضبت عليه فبلغ موسى عليه السلام الرسالة الى ذلك الرجل فخرب وذهب الى الصحراء قائلا الهي أنفدت رحمتك أم ضرتك معصيتي أم نفدت خزائن عفوك أم بخلت على عبادك أي ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القديمة واللؤم من صفاتي الحادثة أفتغلب صفتي صفتك واذا حجبت عبادك عن رحمتك فمن يرجون وان طردتهم فالى من يقصدون الهي ان كانت رحمتك قد نفدت وكان لا بد من عذابي فاحمل علي جميع عذاب عبادك فاني فديتهم بنفسي فقال الله تعالى يا موسى اذهب اليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء الارض لغفرتها لك بعد ما عرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة وقال صلى الله عليه وسلم ما من صوت أحب الى الله من صوت عبد مذنب تائب يقول يا رب فيقول الرب لبيك يا عبدي سل ما تريد انت عندي كبعض ملائكتي أنا عن يمينك وعن شمالك وفوقك وقريب من ضمير قلبك اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت له (قال ذو النون المصري) رحمه الله ان لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرؤا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة

﴿الباب الثامن عشر في فضل التراحم﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره ومعنى رحمته لنفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالى بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والاخلاص فيها ومعنى رحمته لغيره أن لا يسعى في أذية المسلم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ويرحم البهائم ولا يكلفها ما لا تطيق فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل بها وشرب ثم طلع فاذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا

الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله تعالى فغفر له
قالوا يا رسول الله ان لنا في البهائم لأجرا قال في كل ذات كبد رطبة أجر وعن أنس بن مالك قال بينما عمر
رضي الله عنه يعس ذات ليلة اذ مر برفقة قد نزلت فخشي عليهم السرقة فلقي عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه فقال ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مررت برفقة قد نزلت فحدثتني نفسي انهم اذا
باتوا ناموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقا فقعدا قريبا من الرفقة يحرسان حتى اذا
طلع الفجر نادى عمر رضي الله عنه يا أهل الرفقة الصلاة حتى اذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا ان نقتدي
بالصحابة رضي الله عنهم فقد مدحهم الله تعالى بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق
وكانوا يرحمون أهل الذمة فقد روي عن عمر رضي الله عنه انه رأى رجلا من أهل الذمة يسأل على أبواب
الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر رضي الله عنه ما أنصفناك أخذنا منك الجزية ما دمت شابا ثم ضيعناك
اليوم وأمر بأن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين وروي عن علي رضي الله عنه قال رأيت عمر رضي
الله عنه على قتب وهو يعدو بالابطح فقلت له يا أمير المؤمنين أين تصير قال بعير ند من الصدقة فأنا أطلبه
فقلت له لقد أذللت الخلفاء من بعدك فقال لا تلمني يا أبا الحسن فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
بالنبوة لو أن عناقا ذهب بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة لانه لا حرمة لوال ضيع المسلمين ولا
لفاسق روع المؤمنين وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة
بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
وعنه صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وقال مالك بن أنس قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تعود مريضهم وان
تحب تائبهم وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب بأي شيء اتخذتني صفيا قال برحمتك على خلقي
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انه كان يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير فيرسلها ويقول اذهبي
فعيشي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا
اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر *(حكاية)* مر عابد من بني اسرائيل على كثيب
من رمل وقد أصابت بني اسرائيل مجاعة عظيمة فتمنى في نفسه ان هذا لو كان دقيقا لاشبع به بني اسرائيل
فأوحى الله الى نبي بني اسرائيل ان قل لفلان ان الله تعالى قد أوجب لك من الاجر ما لو كان دقيقا وأشبعت
به الناس ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله (حكي) ان عيسى عليه السلام
خرج يوما فلقي ابليس وبيده عسل وفي الاخرى رماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا العسل والرماد قال أما
العسل فأجعله على شفاه المغتابين حتى يبلغوا مناهم وأما الرماد فأجعله على وجوه اليتامى حتى يبغضهم
الناس وقال صلى الله عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله عز وجل
يا ملائكتي من أبكى هذا الصبي الذي غيبت أباه في التراب وقال صلى الله عليه وسلم من آوى يتيما الى
طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة وفي روضة العلماء كان ابراهيم عليه السلام اذا أراد أن يأكل طعاما
مشى الميل والميلين يطلب من يأكل معه وبكى علي كرم الله وجهه يوما فقيل ما يبكيك قال لم يأتني ضيف
منذ سبعة أيام فأخاف ان يكون الله قد أهانني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم جائعا بين يديه
وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعذبه في النار وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار وقال صلى الله عليه وسلم الجاهل السخي أحب الى الله من العابد البخيل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بغير حساب العالم الذي يعمل بعلمه ومن حج ولم يرفث ولم يفسق حتى مات والشهيد الذي قتل في المعركة لاعلاء كلمة الاسلام والسخي الذي اكتسب مالا من الحلال وأنفقه في سبيل الله بغير رياء فهؤلاء ينازع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها الى غيره وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية الى الارض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة وعن جابر رضي الله عنه قال قيل يارسول الله أي الاعمال أفضل قال الصبر والسماحة وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يارسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام

(الباب التاسع عشر في بيان الخشوع في الصلاة)

جاء في الخبر ان جبريل عليه السلام جاء يوما الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله كنت رأيت ملكا في السماء على سرير وحوله سبعون ألف ملك صفوفا يخدمونه وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك على جبل قاف منكسر الجناح وهو يبكي فلما رآني قال أتشفع لي قلت ما جرمك قال كنت على السرير ليلة المعراج فمر بي محمد صلى الله عليه وسلم فما قمت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما ترى قال فتضرعت الى الله وشفعت له فقال الله تعالى ياجبريل قل له حتى يصلي على محمد فصلى على ذلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنبت جناحيه (اعلم) أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت اليه وسائر عمله وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كأنها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من أمتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى صلاة لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله ويل للمطففين وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضر الصلاة قوموا الى ناركم التي أوقدتموها فاطفؤها وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وقال صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من

الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم وليس له من
قيامه الا التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال صلى الله عليه وسلم ليس للعبد من صلاته الا ما عقل
منها وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والاداء مع التعظيم
والخروج مع الخوف وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة فسدت صلاته وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجنة نهر يقال له الافيح فيه جوار خلقهن الله من الزعفران يلعبن بالدر والياقوت
يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام ويقلن نحن لمن صلى صلاته
بالخشوع والحضور فيقول الله تعالى لاسكننه داري ولاجعلنه من زواري (وروى) ان الله
تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند
ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد
الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروى ان الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكروني
فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في
ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة
على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ورأى النبي صلى الله
عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه
ردت صلاته واعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين في الصلاة في غير آية فقال في صلاتهم خاشعون
على صلواتهم يحافظون على صلاتهم دائمون قيل ان المصلين كثير والخاشعين في الصلاة قليل والحاج
كثير والبار قليل والطير كثير والعندليب قليل والعالم كثير والعامل قليل والصلاة محل الخضوع
ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فان للجواز شرطا وللقبول شرطا فشرط الجواز أداء
فرضها وشرط القبول الخشوع قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآية والتقوى
قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله
بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (واعلم) أنه لا يلهي عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فلا
بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة في مظلم أو خال عن الشواغل من الاصوات والفرش المنقوشة والتجرد
عن الملابس المزينة بحيث يلهيه اذا نظر اليها في الصلاة كما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة
التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى أبي جهم فانها ألهتني آنفا
عن صلاتي وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في صلاته اذ كان جديدا فأمر أن ينزع
منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم في يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر
فرماه وقال شغلني هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان أبا طلحة صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسي
طار في الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه كيف شئت (وعن رجل آخر) انه صلى في حائط
له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو
صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا وقال بعض السلف أربعة في الصلاة
من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان تصلي بطريق من يمر بين يديك قال صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد

و بعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك (وفي التوراة) مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فأنا الله الذي اقتربت من قلبك و بالغيب رأيت نوري ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل فيها وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لا يحوزني عبدي الا باداء ما افترضته عليه

الباب العشرون في بيان الغيبة والنميمة

اعلم أن الله سبحانه وتعالى نص على ذم الغيبة في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني و يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها وقالوا مثل من يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا فهو يرمي بها يمينا وشمالا فهو يرمي بحسناته كذلك وقال صلى الله عليه وسلم من رمى أخاه بغيبة يريد بها شينه أوقفه الله تعالى على جسر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغيبة ذكرك أخاك بما يكره أي سواء ذكرته بنقصان بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى في ثوبه وردائه ودابته حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت ان فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ذكرك ما يكره من نفسه وروي ان امرأة قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما أقصرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها يا عائشة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان فيها ثلاث آفات لا يستجاب لصاحبها دعاء ولا تقبل له حسنة وتتراكم عليه السيآت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذم النميمة شر الناس يوم القيامة ذو وجهين النمام الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه من كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة نمام فان قيل ما الحكمة في أن الله تعالى خلق كل مخلوق ذا لسان ناطق وغير ناطق وليس للسمك لسان أصلا فقيل لان الله تعالى لما خلق آدم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم الا ابليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسخه وأهبط الى الارض فجاء الى البحار فأول ما رآه السمك فأخبره بخلق آدم وقال انه يصطاد و يأخذ دواب البحر والبر فلما أخبر السمك دواب البحر بخبر آدم فأذهب الله لسانه (حكي) عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية المدينة فاشتكت فكان يأتيها يعودها ثم ماتت وجهزها وحملها الى القبر فلما دفنت رجع الى أهلها ثم ذكر ان له كيسا كان معه فضيعه في القبر فاستعان برجل من أصحابه فأتيا القبر فنبشاه فوجدا الكيس فقال للرجل تنح عني حتى أنظر على أي حال هي فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر يشتعل نارا فرجع الى امه فقال أخبريني عن عمل أختي فقالت كانت أختك تأتي أبواب الجيران فتلقي أذنها الى أبوابهم حتى تستمع الحديث لكي تمشي بالنميمة فعلم ان هذا سبب

عذاب القبر فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر فليحترز من النميمة والغيبة (وحكى) عن أبي الليث البخاري أنه خرج حاجا فجعل في جيبه درهمين وحلف إن اغتبت أحدا في طريق مكة ذاهبا وآيبا فلله علي أن أتصدق بهما فذهب إلى مكة ورجع إلى منزله والدرهمان في جيبه فقيل له في ذلك فقال لأن أزني مائة مرة أحب إلي من أن أغتاب مرة واحدة قال أبو حفص الكبير لو لم أصم رمضان أحب إلي من أن أغتاب إنسانا ثم قال من اغتاب فقيها جاء يوم القيامة مكتوبا على وجهه هذا آيس من رحمة الله وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الآكلة في الجسد وقال أبو هريرة رضي الله عنه يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وروي أن سلمان كان في سفر مع أبي بكر وعمر وكان يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يتهيأ أن يصلح لهم من الطعام فبعثاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليطلب عنده شيأ من الطعام فلم يجد فرجع إليهما فقالا إنه لو ذهب إلى بئر كذا ليبس ماؤها فنزلت هذه الآية ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل لحم أخيه في الدنيا قدم إليه لحمه يوم القيامة ويقال كله ميتا فإنك أكلته حيا فيأكله ثم تلا قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وروي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أن ريح الغيبة كانت تبين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لقلتها وأما في هذه الأزمان فقد كثرت الغيبة وامتلأت الأنوف منها فلا تتبين رائحتها مثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة وتبقى أهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام ويشربون فيها ولا تتبين لهم تلك الرائحة المنتنة لأنها ملأت أنوفهم وكذلك أمر الغيبة في أيامنا هذه (قال كعب) رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وقال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة أشد العذاب للهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك والآية نزلت في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في وجوههم ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال إن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يعفو عنه صاحبه فالواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وقال صلى الله عليه وسلم من اغتاب أخاه المسلم حول الله وجهه إلى دبره يوم القيامة وينبغي لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل إلى المغتاب لأنه إذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المغتاب تقبل توبته أما إذا بلغته فلا يرتفع عنه الإثم بالتوبة ما لم يجعله في حل وكذلك إذا زنى بامرأة لها زوج وبلغه الخبر لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل بقضاء الفائت من ذلك والله أعلم

الباب الحادي والعشرون في بيان الزكاة

قال الله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون يعني يؤدون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار وأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره أي ويوسع جسمه لها كلها وان كثرت كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأباعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وروى أنه صلى الله عليه وسلم مر ليلة أسرى به على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد (وحكي) ان جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سنان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه فيه قال محمد بن يوسف الفريابي فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لا يقبل تسلية ولا عزاء فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره واذا صوت من قبره يقول آه أفردوني وحيدا أقاسي العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لانظر ما حاله واذا القبر يلتهب عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شفقة الاخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج اليناي يده فاذا هي سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وأخوك عجل له العذاب في قبره الى يوم القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا له قصة الرجل وقلنا له يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك فقال أولئك لا شك انهم في النار وانما يريكم الله في أهل الايمان لتعتبروا قال الله تعالى فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وجاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مانع الزكاة عند الله بمنزلة اليهود والنصارى ومانع العشر عند الله تعالى بمنزلة المجوس ومن يمنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبي صلى الله عليه وسلم ولا تقبل شهادته وقال طوبى له ان أدى الزكاة والعشر وطوبى لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة ومن أدى الزكاة من ماله رفع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يصله عطش يوم القيامة

(الباب الثاني والعشرون في بيان الزنا)

قال الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون أي عن الفواحش وعما لا يحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخرى ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبلة واللمس

والنظر كما جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال اليدان تزنيان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم الآية قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام وبحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة قال الله تعالى ومن يفعل ذلك يلق أثاما يعني عقابا في النار ويقال واديا في النار ويقال جب في النار اذا فتح فيه صاح أهل جهنم من خبث رائحته وروى عن بعض الصحابة أنه قال اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق وقطع الاجل وسواد الوجه وأما التي في الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار وروى ان موسى عليه السلام قال يارب ما لمن زنى قال الله تعالى ألبسه درعا من النار لو وضع على جبل شاهق لأصبح رمادا وورد ان امرأة فاجرة أحب الى ابليس من ألف فاجر وفي المصابيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان وكان فوق رأسه كالظلة فاذا خرج من ذلك العمل رجع اليه الايمان وفي كتاب الاقناع قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أعظم عند الله من نطفة يضعها الرجل في رحم من لا تحل له واللواط أشد من الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من لاط لا يجد رائحة الجنة وان رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام (وحكي) ان عبد الله بن عمر كان جالسا على باب داره فرأى غلاما جميلا فدخل عبد الله هاربا وأغلق بابه فلما مكث ساعة قال هل ذهبت هذه الفتنة أم لا فقالوا ذهبت فخرج من الدار فقيل له يا عبد الله ما فعل هذا في نفسك أسمعت فيه شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النظر اليهم حرام والكلام معهم حرام ومجالستهم حرام قال القاضي الامام رحمه الله سمعت بعض المشايخ يقول ان مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام ثمانية عشر شيطانا وروى من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى في النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة بشهوة فكأنما زنى بسبعين بكرا ومن زنى بالبكر فكأنما زنى بسبعين ألف ثيب (وفي زبدة التفاسير) قال الكلبي ان أول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله فتصور لهم في صورة غلام أمرد جميل ثم دعاهم الى نفسه فنكحوه فصار ذلك عادة لهم في كل غريب فأرسل اليهم لوط عليه السلام فنهاهم عن ذلك ودعاهم الى عبادة الله وتوعدهم على اصرار المعصية بعذاب الله فقالوا له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فسأل لوط عليه السلام ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم الحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمي به وهو معنى قوله مسومة عند ربك أي معلمة أي عليها علامة في خزائن الله أو في حكمه (وحكي) ان رجلا تاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصيبه في الحرم فقالت الملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فرجع الحجر ووقف خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل تجارته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه ونهى من تبعه أن لا يلتفت خلفه الا امرأة لوط فانها لما سمعت هذا العذاب التفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها قال مجاهد لما أصبحوا غدا جبريل على قريتهم وقلعها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على خوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها الى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها سرادقها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم ان الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة يقال كان فيها أربعة آلاف ألف

❊الباب الثالث والعشرون في صلة الرحم وحقوق الوالدين❊

قال تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها * وقال تعالى فهل عسيتم
إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم * وقال
تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض
أولئك هم الخاسرون * وقال تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن
يوصل أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك
من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرؤا إن شئتم فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك
الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والحاكم وقال
صحيح الإسناد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أجدر أي أحق
أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم والشيخان لا يدخل
الجنة قاطع قال سفيان يعني قاطع رحم وأحمد بسند رواته ثقات إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس وليلة
جمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم والبيهقي أنه أتاني جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان
ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا
إلى مسبل أي إزاره خيلاء ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر الحديث وابن حبان وغيره ثلاثة لا يدخلون
الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر وأحمد مختصرا وابن أبي الدنيا والبيهقي يبيت قوم من
هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحوا قد مسخوا قردة وخنازير وليصيبنهم خسف وقذف حتى
يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان خواص ولترسلن عليهم حجارة
من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور ولترسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت
عادا على قبائل فيها وعلى دور بشربهم الخمر ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم
الرحم وخصلة نسيها جعفر والطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة
الرحم وإياكم والبغي فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة
يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إنما الكبرياء
لله رب العالمين والأصبهاني كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يجالسنا اليوم قاطع
رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له قد كان بينهما بعض الشيء فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد إلى
المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم وهذا مؤيد لما روي أن أبا
هريرة رضي الله عنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحرج على كل قاطع رحم إلا قام
من عندنا فقام شاب إلى عمة له قد صارمها منذ سنين فصالحها فسألته عن السبب فذكره لها فقالت ارجع
واسأله لم ذاك فرجع فسأله فقال لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرحمة لا تنزل على قوم
فيهم قاطع رحم والطبراني إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم والطبراني بسند صحيح عن الأعمش
قال كان ابن مسعود رضي الله عنه جالسا بعد الصبح في حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا فإنا نريد

أن يدعو ربنا وأن أبواب السماء مرتجة أي بضم ففتح والجيم مخففة مغلقة دون قاطع رحم والشيخان الرحم
معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح واعترض تصحيحه بأنه منقطع ورواية وصله قال البخاري خطأ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم
وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بتته أي قطعته وأحمد بإسناد صحيح
إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وإن هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها
حرم الله عليه الجنة وأحمد بإسناد جيد قوي وابن حبان في صحيحه إن الرحم شجنة من الرحمن تقول يا رب
إني قطعت يا رب إني أسيء إلي يا رب إني ظلمت يا رب فيجيبها ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من
قطعك والشجنة بكسر أوله المعجم وضمه وإسكان الجيم القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ومعنى من
الرحمن أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحمن كما يأتي في الحديث على الأثر والبزار بإسناد حسن الرحم
حجنة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فيقول الله تبارك وتعالى
أنا الرحمن الرحيم وإني شققت الرحم من اسمي فمن وصلها وصلته ومن بتكها بتكته الحجنة بفتح الحاء
المهملة والجيم وتخفيف النون صنارة المغزل أي الحديدة العقفاء التي يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل والبتك
القطع والبزار ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم إني بك فلا أقطع والأمانة تقول اللهم إني بك فلا
أخان والنعمة تقول اللهم إني بك فلا أكفر والبزار واللفظ له والبيهقي الطابع معلق بقائمة العرش فإذا
اشتكت الرحم وعمل بالمعاصي واجترئ على الله تعالى بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد
ذلك شيئا وأخرج الشيخان من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت * وأخرجا أيضا من أحب أن
يبسط له في رزقه وينسأ أي يؤخر وهو بضم أوله وتشديد ثالثه المهمل وبالهمز له في أثره أي أجله فليصل
رحمه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له
في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه رواه البخاري والترمذي ولفظه قال تعلموا من أنسابكم ما تصلون به
أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر أي بها الزيادة في العمر وعبد الله بن
الإمام أحمد في زوائد المسند والبزار بإسناد جيد والحاكم من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع
عنه ميتة السوء فليتق الله وليصل رحمه والبزار بإسناد لا بأس به والحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم
قال مكتوب في التوراة من أحب أن يزاد في عمره وفي رزقه فليصل رحمه وأبو يعلى إن الصدقة وصلة الرحم
يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور وأبو يعلى بإسناد جيد عن رجل
من خثعم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من أصحابه فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله
قال نعم قال قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإيمان بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم
صلة الرحم قلت يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله قال الإشراك بالله قلت يا رسول الله ثم مه قال
قطيعة الرحم قلت يا رسول الله ثم مه قال ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخاري ومسلم واللفظ له
عرض أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله
أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار فكف النبي صلى الله عليه وسلم ثم نظر في أصحابه
ثم قال لقد وفق هذا أو لقد هدي قال كيف قلت فأعادها فقال النبي صلى الله عليه وسلم تعبد الله

لا تشرك به شيأ وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم دع الناقة وفي رواية وتصل ذا رحمك فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما أمرته به دخل الجنة والطبراني باسناد حسن ان الله ليعمر بالقوم الديار ويثمي لهم الاموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا لهم قيل وكيف ذلك يارسول الله قال بصلتهم أرحامهم وأحمد بسند رواته ثقات الا أن فيه انقطاعا انه من أعطى الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمرن الديار ويزدن في الاعمار وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي يارسول الله من خير الناس قال أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر الى من هو فوقي وان أنظر الى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأوصاني أن أصل رحمي وان أدبرت وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم وأوصاني أن أقول الحق وان كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة والشيخان وغيرهما عن ميمونة رضي الله عنها انها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله اني أعتقت وليدتي قال أوفعلت فقالت نعم قال اما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لاجرك وابن حبان والحاكم أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال اني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من ام قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال فبرها والبخاري وغيره ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها والترمذي وقال حسن لا تكونوا امعة تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤا أن لا تظلموا والامعة بكسر ففتح وتشديد فهملة هو الذي لا رأى له فهو يتبع كل واحد على رأيه ومسلم يارسول الله ان لي قرابة أصل ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيؤن الى وأحلم عليهم ويجهلون على فقال ان كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل أي بفتح وتشديد الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح أي الذي يضمر عداوته في كشحه أي خصره كناية عن باطنه وهو في معنى قوله صلى الله عليه وسلم وتصل من قطعك والبزار والطبراني والحاكم وصححه واعترض بأن فيه واهيا ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وماهي يارسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت ذلك يدخلك الجنة وأحمد باسنادين أحدهما رواته ثقات عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك زاد الحاكم ألا ومن أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه فليصل رحمه والطبراني بسند مختج به ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك والطبراني ان أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك والبزار ألا أدلكم على مايرفع الله به الدرجات وفي رواية للطبراني ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يارسول الله قال تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك وابن ماجه أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم والطبراني مامن ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه

العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وإن أعجل البر ثوابا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا

﴿الباب الرابع والعشرون في بر الوالدين﴾

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله ومسلم وغيره لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومسلم أقبل رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى قال فهل من والديك أحد حي قال نعم بل كلاهما حي قال فتبتغي الأجر من الله قال نعم قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما وأبو يعلى والطبراني بسند جيد أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال فاسأل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد والطبراني يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله قال أمك حية قال نعم قال صلى الله عليه وسلم الزم رجلها فثم الجنة وابن ماجه يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وابن ماجه والنسائي واللفظ له والحاكم وصححه يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك فقال هل لك من أم قال نعم قال الزمها فإن الجنة عند رجلها وفي رواية صحيحة ألك والدان قال نعم قال الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما والترمذي وصححه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلا أتاه فقال إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه وابن حبان في صحيحه أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن أبي لم يزل بي حتى زوجني وإنه الآن يأمرني بطلاقها قال ما أنا بالذي آمرك أن تعق والدك ولا بالذي آمرك أن تطلق زوجتك غير أنك إن شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك إن شئت أو دع قال فأحسب عطاء قال فطلقها وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان تحتي امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها وأحمد بسند صحيح من سره أن يمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر والحاكم وصححه عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فإن لم يفعل لم يرد على الحوض والطبراني بإسناد حسن بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم ومسلم رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه أي لصق بالرغام وهو التراب من الذل قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخلانه الجنة والطبراني بأسانيد أحدها حسن صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال آمين آمين آمين ثم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من

أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار وأبعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار وأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال فيه ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار وأبعده الله قل آمين فقلت آمين ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قلت آمين ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما دخل النار فأبعده الله وأسحقه قلت آمين وأحمد من طرق أحدها حسن من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله زاد في رواية وأسحقه والشيخان يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك والشيخان عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدمت علي أمي وهي راغبة أي عن الإسلام أو فيما عندي أفأصل أمي قال نعم صلي أمك وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم رضا الله في رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين أو قال الوالدين وفي رواية للطبراني طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى للبزار رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال إني أذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها وأبو داود وابن ماجه يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة قال الرجل ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه قال فاعمل به ومسلم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار فقلنا أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أبا هذا كان ودودا لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه وابن حبان في صحيحه عن أبي بردة رضي الله عنه قال قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لم أتيتك قلت لا قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة أن ثلاثة نفر ممن كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهليهم فأخذهم المطر حتى أووا إلى غار في الجبل فانحدرت على فم غارهم صخرة فسدته فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا بصالح أعمالكم وفي رواية فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها وفي أخرى فقال بعضهم لبعض عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم إلا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة

ففرحت شيأ لا يستطيعون الخروج وفي رواية ولي صبية صغار كنت أرعى فاذا رحت عليهم حلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي وانه نأى بي طلب شجرة يوما فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رؤسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر فان كنت تعلم اني قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عفته عن الزنا بابنة عمه والآخر تنميته لمال أجيره فانفرجت عنهم كلها وخرجوا يمشون

﴿الباب الخامس والعشرون في الزكاة والبخل﴾

قال الله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة سماهم المشركين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع حتى يطوق به عنقه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين خمس خصال ان ابتليتم بهن ونزلت بكم أعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الاوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم أقسم الله تعالى لا يدخل الجنة بخيل وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والبخل فان البخل دعا قوما فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله اللؤم فحفه بالبخل والمال (وسئل) الحسن رضي الله عنه عن البخل قال هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفا وما أمسكه شرفا وأصل البخل حب المال وطول الامل وخوف الفقر وحب الولد وفي الحديث الولد مجبنة مبخلة ومن الناس من لا تسمح نفسه بأداء زكاة ماله ولا بالاحسان الى نفسه وعياله واعالته ورغبته في رؤية دنانيره وكونها في قبضته وهو عالم أنه يموت وفي مثله يقول الشاعر

أأخي ان من الرجال بهيمة * في صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر

﴿وقال آخر﴾

البخل داء دوي لا يليق بذي * مروءة لا ولا عقل ولا دين
من آثر البخل عن زهد وعن حذر * فقد لعمري أضحى وهو مغبون
يا بؤس من منع الدارين حقهما * فباع دنياه بعد الدين بالدون

﴿وقال آخر﴾

اذا المال لم يمنع صديقا ولم يصب * قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه ان حازه كف وارث * وللباخل الموروث عقبى التندم

وقال بشر لقاء البخيل كرب والنظر اليه يقسي القلب وكانت العرب تتعاير بالبخل والجبن وقال الشاعر

انفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(وقال آخر)

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري باهله * فاكرمت نفسي أن يقال بخيل

وكفى بالبخيل حسرة أن يجمع لغيره ويحتمل معرة صيره ولا يبالي لذة وفره وخيره وفي مثله يقول وكيع

لشم لا يزال يلم وفرا * لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته ليأكلها سواه

وفي الحكم المنثورة بشر مال البخيل بحادث أو وارث وقال أبو حنيفة رحمه الله لا أرى ان أعدل بخيلا لان البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الامانة ولقي يحيى عليه السلام ابليس فقال له يا ابليس أخبرني بأحب الناس اليك وأبغض الناس اليك قال أحب الناس الي المؤمن البخيل وأبغض الناس الي الفاسق السخي قال له لماذا قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما أخبرتك

(الباب السادس والعشرون في طول الامل)

قال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الامل واتباع الهوى وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم أنا زعيم لثلاثة بثلاثة للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنى بعده وشغل لا فراغ منه وهم لا فرح معه وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انه أشرف على أهل حمص فقال ألا تستحيون تبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فأصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا قال علي بن أبي طالب لعمر رضي الله عنهما اذا أردت أن تلقى صاحبك فارقع قميصك واخصف نعلك وأقصر أملك وكل دون الشبع (وأوصى) آدم ابنه شيثا عليهما السلام بخمسة أشياء وأمره أن يوصي بها أولاده من بعده أولها قال له قل لاولادك لا تطمئنوا الى الدنيا فاني اطمأننت بالجنة الباقية فأخرجني الله منها والثاني قل لهم لا تعملوا بهوى نسائكم فاني عملت بهوى امرأتي وأكلت من الشجرة فلحقتني الندامة والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فان لو نظرت عاقبة الامر لم يصبني ما أصابني والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فاني حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجع فلحقني الندم والخامس استشيروا في الامور فاني لو شاورت الملائكة لم يصبني ما أصابني وقال مجاهد قال لي عبد الله بن عمر اذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك قبل موتك ومن صحتك قبل سقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الامل واستحيوا من الله حق الحياء قالوا كلنا نستحي من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياء

ولكن الحياء من الله تعالى ان تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما وعى والرأس وما حوى ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا فهنالك استحياء العبد من الله حق الحياء وبها يصيب العبد ولاية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم أول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل والامل وروى عن أم المنذر انها قالت اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وماذاك يارسول الله قال تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون وعن أبى سعيد الخدرى قال اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من اسامة المشترى الى شهر ان أسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ماطرفت عيناى الا ظننت ان شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت انى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يارسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا أبلغه وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودا بين يديه والآخر الى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل وذاك الامل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الاجل دون الامل (وقيل) بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع منه الامل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد عليه الامل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل اذ قالت لى نفسى الى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لا بدلك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتى

﴿الباب السابع والعشرون فى ملازمة الطاعة وترك الحرام﴾

معنى الطاعة القيام بفروض الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد فى قول الله عز وجل ولا تنس نصيبك من الدنيا هو ان يعمل العبد بطاعة الله تعالى واعلم ان أصل الطاعة العلم بالله والخوف من الله والرجاء فى الله والمراقبة لله فاذا تجرد العبد عن هذه الخصال لم يدرك حقيقة الايمان لانه لا تصح الطاعة لله الا بعد العلم به والايمان بوجوده جل عما لا يقادر الا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كمثله شىء وهو السميع البصير قال اعرابى لمحمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن أعبد من لم أره قال كيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لا يدرك بالحوس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور فى القضيات ذلك الله لا اله الا هو رب الارض والسموات فقال الاعرابى الله أعلم حيث يجعل رسالاته (سئل) بعض العارفين عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا (روى) أن كعب الاحبار قال لو أن بنى آدم يعلمون اليقين مثقال حبة من عظمة الله عز وجل لمشوا على الماء والريح اه فسبحان من جعل الاقرار بالعجز عن ادراك معرفته ايمانا كما جعل اقرار المنعم عليه بالعجز عن ادراك شكره شكرا قال محمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
وما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والبر والبحر

واذا ثبت العلم بالربوبية تعين الاقرار بالعبودية واذا تقرر الايمان فى القلب وجبت الطاعة للرب والايمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون متباينون فى منازل القرب متفاوتون فى درجات الطاعة والايمان جامع لهم بقدر حظ كل واحد منهم من الموهبة وتمكنه من علو المرتبة فى الاخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه فأما الاخلاص فأن لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فان كانت الطاعة رجاء المثوبة وخوفا من العقوبة فذلك العبد لا يكون كامل الاخلاص فانه لنفسه سعى روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجرا لم يعمل وقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وانما تعينت علينا عبادته ووجبت طاعته بما سبق له من الفضل علينا وتقدم له من الاحسان الينا فضلا عن كونه أمر بها ورتب الجزاء عليها فضلا ويجازى من ضل عنها عدلا وأما التوكل فهو الاعتماد على الله سبحانه عند الحاجة والاستناد اليه مع الضرورة والثقة به عند النازلة مع سكون النفس وطمأنينة القلب فالمتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والاسباب تحت حكم الخالق المدبر لا يركنون لآباء ولا أبناء ولا أموال ولا صنائع بل صرفوا هديه جميع الامور اليه ولم يعتمدوا فى حال من الاحوال الا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجرى به المقدور قال بعض العلماء أقرب الناس الى الله أرضاهم بما قسم لهم ومن كلام الحكماء رب مسرة هى الداء ومرض هو الشفاء كما قال

كم نعمة مطوية * لك بين أثناء النوائب
ومسرة قد أقبلت * من حيث ترتقب المصائب
فاصبر على حدثان دهرك فالامور لها عواقب
ولكل كرب فرحة * ولكل خالصة شوائب

وحسبنا قول الله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم (واعلم) انه لن يستكمل العبد طاعة ربه الا برفض الدنيا وفى بعض الحكم ابلغ المواعظ مالم يحجبها عن القلب حاجب وهذه الحجب اعناهى عوارض الدنيا ومن كلامهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعة قال أبو الوليد الباجى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان المرء عند ماله وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر فى ثلاثة فى النطق والنظر والصمت فمن كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته فى غير فكرة فقد لها وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة فى أحوالها وترك التمنى بلذاتها فان الفكرة تبعث الارادة لتعلق النفس بالفكرة (وليحذر) من ارسال النظر فيما لا يحل فانه سهم صائب وسلطان غالب قال عليه الصلاة والسلام النظر سهم من سهام ابليس فمن تركها لمخافة الله تعالى أعقبه ايمانا يجد طعمه فى قلبه ومن

كلام الحكماء من أطلق طرفه كثر أسفه ادمان النظر يكشف الحسر ويفضح الشر ويطول به المكث في سقر احفظ عينيك فانك ان أطلقتهما أوقعتاك في مكروه وان ملكتهما ملكت سائر جوارحك (قيل لافلاطون) أيهما أشد ضررا بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كالجناحين للطائر لا يستقل الا بهما ولا ينهض الا بقوتهما ومن قص أحدهما فنهض بالآخر على تعب ومشقة وقال محمد ابن صوفي كفى بالعبد نقصانا عند الله وضعة عند ذوي العقول أن ينظر الى كل ما يسمح له (رأى بعض الزهاد) رجلا يضحك الى غلام فقال له يا خرب العمل والقلب ويا خرب الطرف أما تستحي من كرام كاتبين وملائكة حافظين يحفظون الاعمال ويكتبون الاعمال وينظرون اليك ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والعمل الدخيل الخاسر الذي أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ونظر من الخلق اليه وللقاضي الارجاني

تمتعتما يا ناظري بنظرة * فاوردتما قلبي أشر الموارد

أعيناي كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وقال علي كرم الله وجهه العيون مصائد الشيطان والعين أبعد الجوارح سرعة وأشدها صرعة فمن اتبع جوارحه نفسه في طاعة ربه فقد وصل أمله ومن أتبع جوارحه نفسه في نيل لذته فقد أحبط عمله وأنشدوا

اذا ما صفت نفس المريد لطاعة * ولما تشبها للمعاصي شوائب

وأتبعها فعل الجوارح كلها * فتلك عليه أنعم ومواهب

تلامته في دار الخلود كرامة * اذا حب للعاصي سمام وعارب

قال عبد الله بن المبارك أصل الايمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج الى العمل به وخاف الخلود في النار ومن اجتنب المحارم خرج الى التوبة ومن أخذ القوت من حله خرج الى الورع ومن أدى الفرائض صح اسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبعات ومن رد المظالم خاف من القصاص ومن أتى بالسنن زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله وروي عن أبي الدرداء انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أوصني قال له اكتسب طيبا واعمل صالحا وسل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى (وليحذر) من الاعجاب بالعمل فانه من أعظم الآفات وأحبط للاعمال فان المعجب بعمله يمن على ربه وما يدري به أقبله أم رده عليه ورب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (وليحذر أيضا) من الرياء قيل في قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها في الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيآت وكان بعض السلف اذا قرأ هذه الآية قال ويل لاهل الرياء وقيل أنشدنا قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا أي لا يظهرها رياء ولا يخفيها حياء روي عن ابن مسعود أن آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال محمد بن بشير

مضى أمسك الادنى شهيدا معدلا * ويومك هذا بالفعال شهيد

فان تك بالامس اقترفت اساءة * فثن باحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير منك الى غد * لعل غدا يأتي وأنت فقيد

(وقال غيره)

تعجل الذنب بما تشتهي * وتأمل التوبة في قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة * ما ذا بفعل الحازم العاقل

وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما نال وحسن الصبر على ما فقد وفي بعض الحكم المسطورة من صبر على البلاء وصل الى الوفاء قال

عليك بالصبر ان نابتك نائبة * من الزمان ولا تركن الى الجزع
وان تعرضت الدنيا بزينتها * فالصبر عنها دليل الخير والورع
فجاهد النفس قسرا فيهما أبدا * تلق الذي ترتجيه غير ممتنع

(وقال آخر)

الصبر مفتاح ما يرجى * ولم يزل دائما يعين
فاصبر وان طالت الليالي * فربما ساعد الحرون
وربما نيل باصطبار * ما قيل هيهات لا يكون

(وقال آخر)

الصبر أوثق عروة الايمان * ومحنة من نزعة الشيطان
الصبر فيه عواقب محمودة * والطيش فيه عواقب الخسران
فاذا لقيت من الزمان ملمة * وكذاك فيما عادة الازمان
فتدرع الصبر الجميل تيقنا * ان التصبر رائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على الفرائض بالمواظبة عليها باكمالها في أحب أوقاتها وصبر على النوافل وصبر على أذى الاصحاب والجار وصبر على الامراض وصبر على الفقر والصبر عن المعاصي وعن الشهوات وعن الشبهات وعن فضول جميع جوارح البدن وغير ذلك

(الباب الثامن والعشرون في بيان ذكر الموت)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمينا وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعوا الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم وأراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض قال عطاء الخراساني مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت

وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال عليه السلام كفى بالموت واعظا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فإن صاحبكم ليس هنالك وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال أكثرهم ذكرا للموت وأشدهم استعدادا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة وقال الحسن رحمه الله تعالى فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدا وسلوني إلى ربي سلا (وكتب) بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال إبراهيم التيمي شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين وقال أشعث كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية رضي الله عنها أن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت أكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه وقال الحسن ما رأيت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال أنت أول خليفة تموت قال زدني قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هارون أتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته (قال أبو موسى التميمي) توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن رضي الله عنه فقال الحسن يا أبا فراس ما أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال

أخاف وراء القبر إن لم تعافني * أشد من القبر التهابا وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائد * عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى * إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها * من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها * قد ذاق برد الامن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد * لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن * تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة * يفضي الى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب * في حفرة يأوي الى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه * في شدة التعذيب من لدغاتها

وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه * وأين المزكى اذا ما افتخر

قال فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر * وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى * فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا * أمالك فيما ترى معتبر

﴿ووجد مكتوب على قبر﴾

تناجيك أجداث وهن صموت * وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغة * لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

﴿وقال ابن السماك مررت على المقابر فاذا على قبر مكتوب﴾

يمر أقاربي جنبات قبري * كأن أقاربي لم يعرفوني
ذوو الميراث يقتسمون مالي * وما يألون ان جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا * فيا لله أسرع ما نسوني

﴿ووجد على قبر مكتوبا﴾

انا الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا * وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته * ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به * عن الجواب لسانا مابه خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف * فقبرك اليوم في الاحداث مندرس

﴿ووجد على قبر مكتوبا﴾

وقفت على الاحبة حين صفت * قبورهم كأفراس الرهان
فلما ان بكيت وفاض دمعي * رأت عيناي بينهم مكاني

﴿ووجد على قبر طبيب مكتوبا﴾

قد قلت لما قال لي قائل * قد صار لقمان الى رمسه

فأين من يوصف من طبه * وحذقه في الماء مع حسه
هيهات لا يدفع عن غيره * من كان لا يدفع عن نفسه

(ووجد على قبر آخر مكتوبا)

يا أيها الناس كان لي أمل * قصرني عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل * أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى * كل إلى مثله سينتقل

(الباب التاسع والعشرون في ذكر السموات والأجناس المختلفة)

روي أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر إليها بنظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد إلى يوم القيامة وذلك قوله تعالى وكان عرشه على الماء ثم تلاطم وتموج وصعدت منه أدخنة وارتفع بعضها متراكما على بعض وكان له زبد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا فخلق الريح فيهما ففتق بين أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ثم استوى إلى السماء وهي دخان قال أهل الحكمة إنما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يخلقها من بخار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر منتهاه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ثم نظر تعالى إلى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء في الحديث (فائدة) بين سماء الدنيا والأرض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك وقيل إن السماء الدنيا أشد بياضا من اللبن وإنما اخضرت من خضرة جبل قاف واسم تلك السماء رقيعة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماعون والثالثة من نحاس يقال لها ملكوت أو هاريون والرابعة من فضة بيضاء يكاد نورها يخطف الأبصار واسمها الزاهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة أو المسهرة والسادسة من جوهرة تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامعة وفيها البيت المعمور له أربعة أركان ركن من ياقوتة حمراء وركن من زبرجدة خضراء وركن من فضة بيضاء وركن من ذهب أحمر وورد أن البيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة والمعتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الأنبياء خلقوا منها ودفنوا فيها وأفضل طبقات الأرض أعلاها المشاهد كرولانه محل انتفاع العالم (وعن ابن عباس) أفضل السموات هي التي يلي سقفها عرش الرحمن وهي الكرسي لقربها من العرش ولأن جميع النجوم المنتفع بها مثبتة فيها غير السبعة السيارة أما هي فمثبتة في السموات السبع فزحل في السابعة وهو ليوم السبت والمشتري في السادسة وهو ليوم الخميس والمريخ في الخامسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس في الرابعة وهو ليوم الأحد والزهرة في الثالثة وهي ليوم الجمعة وعطارد في الثانية وهو ليوم الأربعاء والقمر في الأولى وهو ليوم الاثنين (نكتة لطيفة) من عجيب صنع الباري تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأنزل من السماء ماء فأخرج به من أنواع النبات والأثمار المختلفة اللون والطعم كما قال تعالى ونفضل بعضها على بعض في الأكل وخلق أولاد آدم على طبقات شتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن

والكافر والعالم والجاهل مع ان الاصل آدم فسبحان من أتقن كل شيء خلقه

(الباب الثلاثون في بيان الكرسي والعرش وبيان الملائكة المقربين والارزاق والتوكل)

قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض قيل كرسيه مجاز عن علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف روي عن علي كرم الله وجهه ان الكرسي لؤلؤ وطوله لا يعلمه الا الله تعالى وفي الخبر ما السموات والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وأخرج ابن ماجه أن السموات في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش (وعن عكرمة) قال الشمس جزء من سبعين جزأ من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين جزأ من نور الستور يعني بها الحجب وورد ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم والعرش جسم نوراني علوي فوق الكرسي فهو غيره خلافا للحسن البصري قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهرة خضراء وقيل من درة بيضاء وقيل من نور والاولى الامساك عن القطع بحقيقته ويسميه الفلكيون بالفلك التاسع والفلك الاعلى وفلك الافلاك والفلك الاطلس أي الخالي من الكواكب اذ كلها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثوابت في الفلك الثامن المسمى عندهم بفلك البروج وعند أهل الشرع بالكرسي والعرش سقف المخلوقات فلا شيء يخرج عن دائرته فهو منتهى علم العباد لامجال للادراك وراءه ولا مطلب لطالب فوقه قال الله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصفه بالعظم لانه أعظم المخلوقات وقد تحقق صلى الله عليه وسلم بالتوكل كما أمر ولذا سمي في التوراة وغيرها بالمتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو صلى الله عليه سيد الموحدين ورأس العارفين ولا ينافي التوكل الاخذ في الاسباب كما قد يتوهم بل هو أيضا مأمور به فقد قال له صلى الله عليه وسلم اعرابي أأعقل ناقتي أم أتركها وأتوكل فقال اعقلها وتوكل وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا أي جياعا وتروح بطانا أي شباعا فأشار بقوله تغدو الى التسبب (حكاية) التقى ابراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له ابراهيم ما بدء أمرك الذي بلغك هذا قال مررت ببعض الفلوات فرأيت طيرا مكسور الجناحين في فلاة من الارض فقلت انظر من أين يرزق هذا فقعدت بحذائه واذا انا بطير قد أقبل في منقاره جرادة فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين فقلت لنفسي ان الذي قيض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة فقال ابراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها حتى يبلغ منازل الابرار فأخذ شقيق يد ابراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا اسحق ثم اذا تسبب الانسان فليجتهد أن لا ينظر الى أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولاه مطمح نظره ومرمى قصده كالسائل يقصد الناس نوعا في يده ولا ينظر اليه وانما ينظر الى الذي يعطونه وفي الحديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه (وقد قيل) لحذيفة المرعشي وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم ما عجب ما رأيت منه فقال بقينا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد البسملة أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل

معنى وكتب

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع الي الرقعة فقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة الى أول من يلقاك فخرجت فأول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا نصراني فجئت الى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس ابراهيم يقبله وأسلم (فائدة) قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل من في السموات من الملائكة ومن في الارض من الخلق فقال احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوها حملوه فنفذت أقدامهم في الارض السابعة على متن الريح فلما لم تستقر أقدامهم على شيء تمسكوا بالعرش ولم يفتروا عن قولهم لا حول ولا قوة الا بالله خيفة أن ينقلب أحدهم ولا يعرف أين يهوي فهم حاملون للعرش وهو حاملهم والكل محمول بالقدرة وروي من قال اذا أصبح واذا أمسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه صادقا كان بها أو كاذبا وفي رواية كفاه الله ما أهمه من أمر آخرته ودنياه

(الباب الحادي والثلاثون في ترك الدنيا وذمها)

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال أبو موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال زيد بن أرقم كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيأ ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وروي أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا وأخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذه اشارة الى أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا أن عصي الله فيها وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا وقال أيضا بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم الملوك والنساء فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها (وروى) ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والجن والانس عن يمينه وشماله قال فمر بعابد من بني اسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمان وقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود فان ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ بيدي وأتى بي واديا من أودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها في بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما أهبط آدم الى الارض قال له ابن للخراب ولد للفناء وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابراهيم عليه السلام يا دنيا ما أهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا أهون علي منك كل شأنك صغير والى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لاحد ولا يدوم لك أحد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم الا النور يسعى أمامهم

والملائكة خائفون منهم حتى ألقيهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر اليها وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول اسكتي يالا شيء انى لم أرضك لهم فى الدنيا أأرضاك لهم اليوم وروى فى أخبار آدم عليه السلام انه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شيء من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل له أى شيء تريد قال آدم أريد أن أضع ما فى بطنى من الاذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك اهبط الى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى اناء واحد وروى أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام يا أطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا يكنك قال يكفينا خلقان من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فقال هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا انه من رغب فى الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد فى الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم وصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا وروى أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيأ يلجأ اليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو بكهف فى جبل فأتاه فاذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال الهى جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لى مأوى فأوحى الله تعالى اليه مأواك فى مستقر رحمتى لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدى ولأطعمن فى عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادى أين الزهاد فى الدنيا زوروا عرس الزاهد فى الدنيا عيسى بن مريم وقال عيسى بن مريم عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره ويأمنها ويثق بها وتخذله وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه (وقيل) أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى مالك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هى الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هى ياموسى انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم أبى عبيدة

فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف
فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء
قالوا أجل يا رسول الله قال فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن
تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وقال
أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات
الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا
فنهى عن ذكرها فضلا عن إصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا أهلها
موتى في الافنية والطرق فقال يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك
لتدافنوا فقالوا يا روح الله وددنا أنا لو علمنا خبرهم فسأل الله تعالى فأوحى اليه اذا كان الليل فنادهم
يجيبوك فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما
حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قالوا بحبنا الدنيا وطاعتنا
أهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قالوا حب الصبي لامه اذا أقبلت فرحنا بها واذا أدبرت حزنا
وبكينا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد
قال فكيف أجبتني أنت من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم
فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح
الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال أنس كانت ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه
وسلم انه حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من الذي يبني على موج
البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقال لعيسى عليه السلام علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال
ابغضوا الدنيا يحببكم الله تعالى (وقال أبو الدرداء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو
تعلمون ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا
راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن غيب عن قلوبكم ذكر الآخرة الامل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم
وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون
ولا تناصحون وأنتم اخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم الا خبث سرائركم ولو اجتمعتم على البر
لتحاببتم ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه
ويعينه على أمر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما
توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها أملك لاموركم فان قلتم حب العاجلة غالب فانا نراكم تدعون
العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه
فبئس القوم أنتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم وان كنتم في شك مما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم فأتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم
فنعذركم انكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسير
من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم

وتسمونها المصائب وتعيبون فيها المال ثم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم اني لا ارى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فأصبحتم على الغل وبنت مراعيكم على الامل وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد أسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم (وقال عيسى) عليه السلام يامعشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا * وما أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر تركك الدنيا أبر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتأتينكم بعدي دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب (وأوحى) الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يارب عبدك يبكي من مخافتك فقال ياابن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا (الآثار) قال علي رضي الله عنه من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها (وقال الحسن) رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال أيضا رحمه الله من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره (وقال لقمان عليه السلام) لابنه يابني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (وقال بعض الحكماء) انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة وان رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وفي ذلك قيل

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره * فسوف لعمري عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل اما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها اما أن تزيد واما أن تنقص (وقال سفيان) أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيأ الا أراد أكثر

وليس لها غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لأبي حازم أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها (وقال يحيى بن معاذ) الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى (وقال أبو حازم) إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وفي ذلك قيل

وما المال والأهلون إلا ودائع * ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها فذكروا الدنيا وأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه * وجاد بدنياه لما يتوقع

(وقيل أيضاً في ذلك)

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره * ونال من الدنيا سروراً وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ما قد بناه تهدما

(وقيل أيضاً في ذلك)

هب الدنيا تساق إليك عفواً * أليس مصير ذاك إلى انتقال
وما دنياك إلا مثل فيء * أظلك ثم آذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً (وقال مطرف بن الشخير) لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب وفي ذلك قيل

يا خاطب الدنيا إلى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها وفي ذلك قيل

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وقيل أيضاً)

يا راقد الليل مسروراً بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة * كر الجديدين إقبالاً وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك * قد كان في الدهر نفاعاً وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها * يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقة * حتى تعانق فى الفردوس أبكارا
ان كنت تبغى جنان الخلد تسكنها * فينبغى لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم أتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبى وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالى أن لا يعبدوا الاوثان وانما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غير حقه وانفاقه فى غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع وقال رجل لعلى كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن فى حلالها الحساب وفى حرامها العقاب وفى متشابهها العتاب وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا وقال أبو سليمان الدارانى اذا كانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا تزاحمها فاذا كانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله على كرم الله وجهه حيث قال الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى احداهما تسخط الاخرى (وقال الحسن) والله لقد أدركت أقواما كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذى تمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت الى ذا أو ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول فى رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه أيحسن له أن يتعيش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره (وقال الفضيل) لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلالا لا أحاسب عليها فى الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة اذا مر بها أن تصيب ثوبه (وقيل) لما قدم عمر رضى الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسأله ثم أتى منزله فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضى الله عنه لو اتخذت متاعا فقال يا أمير المؤمنين ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا وقال وهب قرأت فى بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسألوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمان لابنه يا بنى انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فأنت الى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت عنها (وقال سعيد بن مسعود) اذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذى يلعب بوجهه وهو لا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث الا والذى عليه أكثر من الذى له وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ولا يغرنكم الحياة الدنيا من قال ذا قاله من خلقها ومن هو أعلم بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مسكين ابن آدم رضى بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان أخذه من حله حوسب به وان أخذه من حرام عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته فى دينه ويجزع من مصيبته فى دنياه (وكتب الحسن) الى عمر بن

عبدالعزيز سلام عليك أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل (وقال الفضيل بن عياض) الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف ينصب وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك ولولا المولود لباد الخلق ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه قال لا أملك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي رحمه الله يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وانما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كأن منفعته لغيرك وقال بشر من سأل الله الدنيا فانما يسأله طول الوقوف بين يديه وقال أبو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد ألصق الله اليه شيأ يسوءك (وقال الحسن) لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع مما جمع ولم يدرك ما أمل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه (وقيل لبعض العباد) قد نلت الغنى فقال انما نال الغنى من عتق من رق الدنيا وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله على هذا فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد بأهنأ منها لمن أهانها وقال أيضا اذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد أعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يقول في دعائه يا ممسك السماء أن تقع على الارض الا باذنك أمسك الدنيا عني وقال محمد ابن المنكدر أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيامة فيقال ان هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال أبو حازم اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فانك لا تجد عليها أعوانا وأما مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال أبو هريرة الدنيا موقوفة بين السماء والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يالاشيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة وضيع نفسه قيل له انه كان يفعل ويفعل وذكروا أبوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها (وقال الجنيد) كان الشافعي رحمه الله من المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخا له في الله وخوفه بالله فقال يا أخي ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله

وارض برزق الله لا تتسلف من دار وسائلك الى دار بقائك فان عيشك فى زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك (وقال ابراهيم بن أدهم لرجل) أدرهم فى المنام أحب اليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت لان الذى تحبه فى الدنيا كأنك تحبه فى المنام والذى لا تحبه فى الآخرة كأنك لا تحبه فى اليقظة وعن اسمعيل ابن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها اسما أقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه وقال أيضا الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبدالله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كطفئ النار بالتبن (وقال بندار) اذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون فى الزهد فاعلم انهم فى سخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها يعنى الحرص حتى يصير رمادا ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال على كرم الله وجهه انما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروبات الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال وأشرف المنكوحات المرأة وهى مبال فى مبال وان المرأة لتزين أحسن شئ منها ويراد أقبح شئ منها وأشرف المشمومات المسك وهو دم

﴿الباب الثانى والثلاثون فى ذم الدنيا أيضا﴾

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها وتزينت لخطابها وأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودهاؤها يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل أو هل الى الطبيب من سبيل فتدعى لك الاطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال فلان أوصى ولماله أحصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك وأحضرت أكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح حسادك وانصرف أهلك الى مالك وبقيت مرتهنا بأعمالك (وقال بعضهم) لبعض الملوك ان أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه أو تأتى سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب الى جسمه فتسقمه أو تفجعه

بشئ

لشيء هو وصية بين أحبابه فالدنيا أحق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بيناهي تضحك صاحبها اذ أضحكت منه غيره وبيناهي تبكي له اذا بكت عليه وبيناهي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها بالاسترداد فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا (وكتب) الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامة وانما أنزل آدم عليه السلام من الجنة اليها عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحلت بآمالها وسوفت بخطابها وأصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور أشخصته الى مكروه السار في أهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فسرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر ولا يدري ما هو آت فينتظر أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر ولو كان الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها اذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضعه مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وان شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام فانه كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الارض أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس على الارض أحد أغنى مني (وقال وهب بن منبه) لما بعث الله عز وجل موسى وهرون عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبنكما ما تمتع به منها فانما هو زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائي اني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي

الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإني لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة وما
ذاك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخوف
والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي
يظهرون وضميرهم الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاؤهم الذي إياه يأملون
ومجدهم الذي به يفخرون وسيماهم التي بها يعرفون فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك
ولسانك واعلم أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة وخطب عليّ كرم
الله وجهه يوماً خطبة فقال فيها اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم
ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل
ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا أهلها
منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور أحوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم
والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتفه
فيها مقدور وحظه فيها موفور واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى
ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً فأصبحت أصواتهم هامدة
جامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية واستبدلوا
بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة
فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون
بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار
وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة
أمواتاً وبعد نضارة العيش رفاتاً فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب هيهات
هيهات كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من
البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم
الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب
لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار هنالك
تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا
بالحسنى وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه
متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد (وقال بعض الحكماء) الأيام سهام
والناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع
أجزائك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما
أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن
تدبير الله فوق تدبير الاعتبار وبالسلو عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها وإنها لأمر من العلقم إذا عجمها
الحكيم وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ اللهم
أرشدنا إلى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال الدنيا وقتك الذي يرجع
إليك فيه طرفك لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه وما لم يأت فلا علم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته

وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الانسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانصرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور * وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال أيها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانكم حمقى وان كنتم تكذبون به فانكم هلكى فانما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق لا تصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق أخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما أنتم صائرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل * وقال علي كرم الله وجهه في خطبته أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقا وكأنهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فانه الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسين لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والادب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا وأنه لم يرضها لأوليائه وانها عنده حقيرة ذليلة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها أكلوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ونظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون اليها بأعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون اليها بأبدانهم تعبوا قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم

(الباب الثالث والثلاثون في فضل القناعة)

اعلم أنه ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في أيديهم ولا حريصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن ويقتصر على أقله قدرا وأخسه نوعا ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوق الى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروآت وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوحي اليه أتيناه يعلمنا مما أوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا أنزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لاحب أن يكون له ثان وان كان له الثاني لاحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال أبو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الامل

وحب المال أو كما قال ولما كانت هذه خصلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أقنعهم بما أعطيته قال فأيهم أعدل قال من أنصف من نفسه وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال أبو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني وأوجز فقال إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدث بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في أيدي الناس وقال عوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيأ قال فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه وقال عمر رضي الله عنه إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وفي ذلك قيل

العيش ساعات تمر * وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه * واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد وقال سفيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن وقال ابن مسعود إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فإنما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق (وكتب بعض بني أمية) إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت وقيل لبعض الحكماء أي شيء أسر للعاقل وأيما شيء أعون على دفع الحزن فقال أسرها إليه ما قدم من صالح العمل وأعونها له على

ادمع الحزن الرضا بمحتوم القضاء وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط وفى ذلك قيل

أرفه بال فتى أمسى على ثقة * ان الذى قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل ساحتها * لم يلق فى دهره شيأ يؤرقه

وقد قيل أيضا

حتى متى أنا فى حل وترحال * وطول سعى وادبار واقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ما حالى
بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لا يخطر الموت من حرصى على بالى
ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضى الله عنه ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى حلتان لشتائى وقيظى وما يسعنى من الظهر لحجى وعمرتى وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم فوالله ما أدرى أيحل ذلك أم لا كأنه شك فى أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التى تجب القناعة بها وعاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال يا أخى أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته وكأن ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت فيه قد نقلت عنه كأنك يا أخى لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وفى ذلك قيل

أراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبى قد رضيت

وقال الشعبى حكى أن رجلا صاد قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت والله ما أشفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى أما واحدة فأعلمك وأنا فى يدك وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل تقول يا شقى لو ذبحتنى لاخرجت من حوصلتى درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف وقال هات الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمى ودمى وريشى لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمى فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل فى قلبك وقيد فى رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال أبو محمد اليزيدى دخلت على الرشيد فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآنى تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين قال نعم وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا وأنشدنى

اذا سد باب عنك من دون حاجة * فدعه لاخرى ينفتح لك بابها

فان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها
ولا تك مبدالا لعرضك واجتنب * ركوب المعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج وقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه حاجة كان خيرا لك

الباب الرابع والثلاثون في فضل الفقراء

قال صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم ان لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجهاد وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك أينما كنت فأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم قم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذا يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت أني اذا نظرت الى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقا الى هلال رجب قال فأتيته فقال لا والله الا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله اني لامين في أهل السماء أمين في أهل الارض ولو باعني أو أسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقال كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال باسم الله وألقى السمكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال رضيت يا رب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها

الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء وفى لفظ آخر فقلت أين الأغنياء فقيل حبسهم الجد وفى حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهن فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر وفى الخبر آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه وفى حديث آخر رأيته دخل الجنة زحفا وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخل الغنى الجنة وفى خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفى الخبر إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك فقال كل فقير فقير ويمكن أن يكون الثانى للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الضر وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه إنى لأحب المسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسامى إليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا نجيء ونجيء إليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبى ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبى هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم أجمعين أجابهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التأذى برائحتهم وكان لباس القوم الصوف فى شدة الحر فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس السلمى وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يعنى الفقراء تريد زينة الحياة الدنيا يعنى الأغنياء ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا يعنى الأغنياء وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية واستأذن ابن أم مكتوم على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشراف قريش فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى يعنى ابن أم مكتوم أما من استغنى فأنت له تصدى يعنى هذا الشريف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل فى الدنيا فيقول وعزتى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لهوانك على ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدى إلى هذه الصفوف فمن أطعمك فى أو كساك فى يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة أمامى فنظرت فإذا بلال ونظرت فى أعلاها فإذا فقراء أمتى وأولادهم ونظرت فى أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأضر بهن الأحمران الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت أصحابى فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات وظننت أنى لا أراك

فقلت ولم قال كنت أحاسب عيالى فانظر الى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل فقير فلم ير له شيأ فقال لو قسم نور هذا على أهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وقال عمران بن حصين كانت لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك فى عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بأبى أنت وأمى يارسول الله فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم أأدخل فقالت ادخل يارسول الله قال أنا ومن معى قالت ومن معك يارسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بعثك بالحق نبيا ما على الا عباءة قال اصنعى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدى فقد واريته فكيف برأسى فألقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادنى وجعا على ما بى أنى لست أقدر على طعام آكله فقد أضر بى الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وانى لأكرم على الله منك ولو سألت ربى لأطعمنى ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشرى فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة فقالت فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك انكن فى بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقنعى بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا فى الدنيا سيدا فى الآخرة وروى عن على كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ذو الدرهمين أشد حبسا أو قال أشد حسابا من ذى الدرهم وأرسل عمر رضى الله عنه الى سعيد بن عامر بألف دينار فجاء حزينا كئيبا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرينى درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلى ويبكى الى الغداة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء أمتى الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل من الاغنياء يدخل فى غمارهم (٣) فيؤخذ بيده فيستخرج وقال أبو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد (وقيل) جاء فقير الى مجلس الثورى رحمه الله فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان الاغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء وقال المؤمل ما رأيت الغنى أذل منه فى مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه فى مجلس الثورى رحمه الله وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله فى الباطن كما يخاف خلقه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعا وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك

للفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام احذر أن أمقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا ولقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد وتوجهها إليهم معاوية وابن عامر وغيرهما وإن درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتيني لفعلت وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل ذلك أبدا رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا فالأول القانع وهذا الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه أن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وروي عن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال ما من أحد غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتا في الدنيا وأوحى الله تعالى إلى إسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي فتقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي وأما الزاهد فسنذكر فضله إن شاء الله تعالى * وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه إن الطمع فقر واليأس غنى وإنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان إبراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض غلمانه إذا قام فجئني به فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشبعت قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا عبد الله أرضيت من الدنيا

بهذا فقال ألا أدلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد ابن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى أحد وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقواما أقسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق الآية وكان أبو ذر رضي الله عنه يوما جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له أتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال ياهذه ان بين أيدينا عقبة كؤودا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون رحمه الله أقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن اليك وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز في اليأس
واستغن عن ذي قربى وذي رحم * ان الغني من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا المعنى أيضا

ياجامعا مانعا والدهر يرمقه * مقدرا أي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته * أغاديا أم بها يسري فتطرقه
جمعت مالا فقل لي هل جمعت له * ياجامع المال أياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه * ما المال مالك الا يوم تنفقه
أرفه ببال فتى يغدو على ثقة * أن الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في ظلها همّا يؤرقه

الباب الخامس والثلاثون في اتخاذ ولي من دون الله سبحانه وتعالى وفي بيان الغرضات

قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية قال بعض المفسرين أجمع أهل اللغة على أن الركون مطلق الميل والسكون يسيرا أو كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد الركون هنا الادهان وذلك أن لا ينكر عليهم كفرهم وعن عكرمة لا تصطحبوهم والظاهر من الآية عموم النهي عن الركون الى المشركين وفسقة المسلمين وقال النيسابوري في تفسيره قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة أو تزيين طريقتهم وتحسينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من أبواب المظالم فأما مداخلتهم لدفع شيء من الضرر واجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون قال وأقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم بالكلية أليس الله بكاف عبده اهـ قلت ولقد صدق فحسم مادة الركون اليهم أولى سيما في هذه الازمان التي لا يمكن فيها انكار المنكر والامر بالمعروف مع ما في الركون اليهم من الغرر والغرور واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك عن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم

ويتمتع بالنظر ربهم ويعدعينيه الى زهرتهم الفانية ويعطهم عبا أوتواس القطوف الدانية وهو فى الحقيقة من الجنة طفيف ومن جناح البعوضة خفيف عزل عن ان تميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحد كم من يخالل وروى مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك ان لم يعطك أصابك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يحرقك أصابك من دخانه قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الآية وقال صلى الله عليه وسلم من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلثا دينه وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش وقال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم يعنى فى عرصات القيامة وقد اختلف المفسرون فى تعيين الامام الذى يدعى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره انه كتاب كل انسان الذى فيه عمله ان يدعى كل انسان بكتاب عمله ويؤيد هذا قوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه الآية وقال ابن زيد الامام هو الكتاب المنزل فيقال يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن وقال مجاهد وقتادة امامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعى ابراهيم هاتوا متبعى موسى هاتوا متبعى عيسى هاتوا متبعى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه المراد بالامام امام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بامامهم الذى كانوا يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه وفى الحديث الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان بن فلان وروى الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير هذه الآية يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ستين ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتيهم فيقول ابشروا لكل رجل منكم مثل هذا وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ستين ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا وقال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها الى آخر السورة قال ابن عباس رضى الله عنهما أى تحركت من أسفلها وأخرجت ما فى جوفها من الاموات والدفائن وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد وأمة بكل عمل عمل على ظهرها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تحفظوا من الارض فانها أمكم وانه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا الا وهى مخبرة أخرجه الطبرانى

(الباب السادس والثلاثون فى النفخ والفزع والحشر من المقابر)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن ينتظر متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك أن اسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كعرض السموات والارض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من فى السموات ومن فى الارض أى مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض

روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح اسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى
في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله اسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى
فإذا هم قيام ينظرون على أرجلهم ينظرون الى البعث وقال صلى الله عليه وسلم حين بعثت أتى صاحب
الصور فأهوى به الى فيه وقدم رجلا وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة فتفكر في
الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم
من سعادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل ان كنت في الدنيا من
المترفهين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم
يوطؤن بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤسها مختلطة
بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول
النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت ثم
أقبلت الشياطين والمردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقا لقوله
تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك
ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا الى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف
لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا ترى عليها ربوة يختفي الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل
هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم
من أقطار الارض اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي الثانية
وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لاحد قال الراوي
والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي هو النقي عن القشر والنخالة ومعلم أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد
البصر ولا تظن أن تلك الارض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها الا في الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات قال ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها
وتمد مد الاديم العكاظي أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات
تذهب شمسها وقمرها ونجومها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا
الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الارض لخمود سراجها فبيناهم
كذلك اذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام والملائكة قيام على
حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم
تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال
كالعهن وانتشر الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث
الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
راوية الحديث قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس عن ذلك لكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات
كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم ولا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال أبو هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا ومشاة

وعلى وجوههم فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم * فى طبع الآدمى انكار كل مالم يأنس به ولولم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لانكر تصوّر المشى على غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فاياك أن تنكر شيأ من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس مافى الدنيا فانك لولم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد انكارا لها فاحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عار يا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فانها عظيمة * ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع من ملائكة وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير وأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدنيت من رؤس العالمين كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الاظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة أذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخارى ومسلم فى الصحيح وفى حديث آخر قياما شاخصة أبصارهم أربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكذا فتأمل يامسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادى فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات اهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيمة شدته طويلة مدته

﴿الباب السابع والثلاثون فى بيان القضاء بين الخلائق﴾

قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يارسول الله من لادرهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام

وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان فان سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيآت من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فقد روى أبو ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال أبو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم انه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس أن تعبد الاصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن سينجينه فما يزال العبد يجيء فيقول رب ان فلانا ظلمني بمظلمة فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد وأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد عراة غبرا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقصه منه ولا لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما نأتي الله عز وجل عراة غبرا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة اليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لاحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت
ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال
أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء
فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب يحمل عني من أوزاري قال وفاضت
عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من
أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من فضة
مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا قال لمن أعطاني
الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يا رب إني قد عفوت
عنه قال الله تعالى خذ بيد أخيك وأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله
وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو
إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى
عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من فصل القضاء وقد خلع عليك خلعة
الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا
وابيض وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعا رأسك خاليا
عن الأوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الأولين والآخرين ينظرون
إليك وإلى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على
رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى أن هذا
المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك
وتزينك فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافي
والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من
صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال عليك لعنتي يا عبد
السوء لا أتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله
تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين وعند ذلك تتناول إليك الزبانية وقد غضبت لغضب
خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها (٣) وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك يسحبونك على
وجهك على ملأ الخلائق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادي بالويل
والثبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثبورا واحدا وادع ثبورا كثيرا وتنادي الملائكة ويقولون هذا
فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا
وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خيفة من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم
فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من
الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدي
الزبانية إلى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر

الباب الثامن والثلاثون في بيان ذم المال

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانا عظيما وقال عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية وقال ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال تعالى ألهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر افسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك المكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله أي أمتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال رجل يا رسول الله مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان خلفه أحب أن يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والذي يتبعه الى قبره فهو أهله والذي يتبعه الى محشره فهو عمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما والمدر عندي سواء وكتب سلمان الفارسي الى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي اياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له امض فقد أديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله في فما زال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا وروى أن رجلا نال من أبي الدرداء وأراه سوأ فقال اللهم من فعل بي سوأ فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وأن يفضي الى الطغيان ووضع علي كرم الله وجهه درهما على كفه ثم قال أما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروى أن عمر رضي الله عنه أرسل الى زينب بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا أرسله اليك عمر بن الخطاب فقالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته وجعلته صررا وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت أول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن والله ما أعز الدرهم أحد الا أذله الله وقيل ان أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم

وضعهما

وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان إن الدراهم
والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا
تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه قيل وما رقيته قال أخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد
تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت أعوذ بالله من شرك فقالت إن سرك أن يعيذك الله مني فابغض
الدرهم والدينار وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها فمن صبر
عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل

إني وجدت فلا تظنوا غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فإذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم

* وفي ذلك قيل أيضا

لا يغرنك من المرء قميص رقعه * أو إزار فوق عظم الساق منه رفعه
أو جبين لاح فيه أثر قد خلعه * أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين
صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال
عمر أقعدوني فأقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينارا ولا درهما فإني لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم
وإنما ولدي أحد رجلين إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبالي على
ما وقع وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لا ولكني
أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي ويروى أن رجلا قال لأبي عبد ربه يا أخي لا تذهب بشر وتترك
أولادك بخير فأخرج أبو عبد ربه من ماله مائة ألف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الأولون
والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله

الباب التاسع والثلاثون في الأعمال والميزان وعذاب النار

يا أخي لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب إلى الأيمان والشمائل فإن الناس بعد السؤال ثلاث
فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم
ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها وقسم آخر لا سيئة لهم فينادي
مناد ليقم الحمادون لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم بمن لم
تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث
وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم
أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب فتتطاير الصحف
والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين
أو في الشمال ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات وهذه حالة هائلة تطيش
فيها عقول الخلائق وروى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله
عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فسقط على خد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتبه
فقال ما يبكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في

ثلاث مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله وعند الصراط وعن أنس قال يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة إنه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس قالوا وما هما يا رسول الله قال يأجوج ومأجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم فيها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به

ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من
العطش أكبادهم وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف
شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت
الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا
يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم أشد سواداً من الحميم وأعميت أبصارهم وأبكمت
ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أيديهم
الى أعناقهم وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد
بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم
هذا بعض جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضاً في أودية جهنم وشعابها فقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب
سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي
كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول
الله وما وادي أو جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء
المرائين فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد
الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم
الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي
أرب من الدنيا الا الى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا
الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن انتهى الى قعرها ثم انظر الى تفاوت
الدركات فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك
مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم
مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر
عصيانه وذنبه الا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة
نعليه فانظر الآن الى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب
أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن
لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه
النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل ان نار الدنيا غسلت
بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم
فقال أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد
عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت
يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدونه في الصيف
من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من

الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس ضرا في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت ضرا قط فيقول لا وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تلفح وجوههم النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحما على عظم الا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن دلوا من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الارض فهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون أدعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال قال فيقولون أدعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل (وقال أبو أمامة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانظر الآن الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه

يوم القيامة ثم يأخذ بلهازمه يعني أشداقه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وقال الرسول صلى الله عليه وسلم إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال عليه السلام إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطأه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضا من ذلك (قال محمد بن كعب) لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن أنس رضي الله عنه قال زيد بن أسلم في قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا

أنفسنا بنعيم الجنان وسنا وكيف لم نتكلف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شئ من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم قال أحمد بن حرب ان أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلام كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا أمر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ولعمري الاشارة به الى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري ماذا موردي والى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر الى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم

الباب الأربعون في فضل الطاعة

اعلم أن طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات النفوس الى أنوار معرفة القدوس وليتمتعوا في دار النعم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فانهم لم يخلقوا عبثا بل ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وهو الغني عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم ولا تنقص من كمالاته شيأ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها والله الغني وأنتم الفقراء يا عجبا أحدنا يشتري الرقيق ويحب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة باعثا فيها منقادا لمولاه الذي استولى عليه بالعرض اليسير الفاني ويمقته بزلة واحدة ويغضب عليه وربما منعه مرتبته أو طرده أو باعه فمالنا لا نطيع مولانا الحقيق الذي خلقنا وسوانا ونقع في زلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه عنا وامداداته التي لولاها لهلكنا وهو قادر على البطش بنا

بمجرد ارتكاب زلة واحدة لكنه عهد لما العلماء تتوب فيقبلها ويعمر زلتنا ويستر عورتنا فالعاقل يعرف
من هو الأحق بالطاعة فيقبل عليه ويتوجه بكليته اليه وكلما أذنب تاب والى خالقه أناب ولا ييأس
من رحمته ويحسن اليه بشكر نعمته ويواظب على ذلك عسى أن يكتب من المحسنين فيأتيه الموت وهو
مشتاق الى مولاه ومولاه أشد شوقا الى لقائه (قال أبو الدرداء) لكعب رضي الله عنهما أخبرني عن أخص
آية يعني في التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لأشد شوقا قال
ومكتوب الى جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال أبو الدرداء أشهد أني لسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال يا داود أبلغ أهل
أرضي أني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني
ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي وأحببته
حبا لا يتقدمه أحد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل
الارض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وآنسوا بي أؤانسكم وأسارع
الى محبتكم فاني خلقت طينة أحبائي من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب
المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي (وروى) عن بعض السلف ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين
ان لي عبادا من عبادي يحبوني وأحبهم ويشتاقون الي وأشتاق اليهم ويذكروني وأذكرهم
وينظرون الي وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما
علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما يحن
الطائر الى وكره عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا
كل حبيب بحبيبه نصبوا الي أقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي
فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعيني ما يتحملون من
أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني
كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل
بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه (وفي أخبار داود عليه السلام)
ان الله تعالى أوحى اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق الي قال يارب من المشتاقون اليك قال
ان المشتاقين الي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون الي
واني لاحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي ثم أدعو نجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا لي فأقول اني لم
أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي وأباهي بكم أهل الشوق الي فان
قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني خلقت قلوب المشتاقين
من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت أبدانهم موضع نظري الى الارض
وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال داود يارب أرني أهل محبتك
فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه أربعة عشر نفسا فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول فاذا أتيتهم
فأقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فانكم أحبائي
وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند
عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه

فقال داود انى رسول الله اليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم الى الارض فقال داود انا رسول الله اليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع الى محبتكم وأنظر اليكم فى كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترئ على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا فى شئ من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق اليك وأتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون فى طلب رضاك فأعنا عليه بجودك وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر فى عظمتك أفيجترئ على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر فى جلالك وطلبتنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل محبتك وقال الآخر أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا فى شكرك وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هى النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده اذ أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدى به فى الظلمات من أطباق السموات وقال الآخر ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا فى شئ من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال وجهك وقال الآخر أسألك من بينهم أن تعمى عينى عن النظر الى الدنيا وأهلها وقلبى عن الاشتغال بالآخرة وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شئ دونك فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم الى ما أحببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فانى كاشف الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الى نورى وجلالى فقال داود يارب بم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بى ومناجاتهم لى وان هذا منزل لا يناله الا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشئ من ذكرها وفرغ قلبه لى واختارنى على جميع خلقى فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بينى وبينه حتى ينظر الىّ نظر الناظر بعينه الى الشئ وأريه كرامتى فى كل ساعة وأقربه من نور وجهى ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها اليه لا يفتر عن الاشتغال بى يستعجلنى القدوم وأنا أكره أن أميته لانه موضع نظرى من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى غيره فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكرى أباهى به ملائكتى وأهل سمواتى يزداد خوفا وعبادة وعزتى وجلالى يا داود لاقعدنه فى الفردوس ولاشفين صدره من النظر الىّ حتى يرضى وفوق الرضا (وفى أخبار داود أيضا) قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ما ضركم اذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا الىّ بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت دينى لكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائى (وفى أخبار داود أيضا) ان الله تعالى أوحى اليه تزعم أنك تحبنى فان كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب يا داود خالص حبيبى مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة وديتك قلدنيه

ولا

ولا تقلد بنك الرجال أماما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به وأما ما أشكل عليك فقلد بينه حقا على أبي أسارع الى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد واني قد حلفت على نفسي اني لا أثيب الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء كنفه بين يدي وانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكنت الغنى قلبك فاني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته اليها أصب الاشياء الي لا تصاد عملك فتكون متعبا ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تحد لمعرفتي حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تحد للزيادة مني حدا ثم أعلم بني اسرائيل انه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي أبح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الى بصر قلبك ولا تنظر بعينيك التي في رأسك الى الذين حجبت عقولهم عني فأمر جوها وسخطت بانقطاع ثوابي عنها فاني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضا يمشون عليها يا داود لأن تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فأكتبك عندي حميدا ومن كتبته عندي حميدا لا تكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة الاقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عني فاني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار فان محبتي للصوم ادمانه

﴿الباب الحادي والاربعون في الشكر﴾

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله أكبر فقال تعالى فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال تعالى وسنجزي الشاكرين وقال عز وجل اخبارا عن ابليس اللعين لأقعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر طعن اللعين في الخلق فقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم واستثنى في خمسة أشياء في الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال ويرزق من يشاء بغير حساب وقال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من أخلاق الربوبية اذ قال تعالى والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (وأما الاخبار) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء انه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجبا أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة أبي بكر ذريني

أتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له فقام الى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبدا والى هذا السر يشير ما روى أنه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة فأنا أبكي من خوفه فسأل الله له أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفي لفظ آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن وأوحى الله تعالى الى أيوب عليه السلام اني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى اليه أيضا في صفة الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الي أزيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه أي المال نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن مسعود الشكر نصف الايمان (واعلم) أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته حتى ان شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم وشكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف الى الشكوى أن تكون شكواه الى الله تعالى فهو المبلي والقادر على ازالة البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روى ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك

باللسان وبتصرف

الباب الثاني والاربعون في بيان ذم الكبر

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال عز وجل كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال تعالى انه لا يحب المستكبرين وقال تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وذم الكبر في القرآن كثير وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فتواقفا فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوما للطير والانس والجن والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست أقدامه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم فقال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وعن ثابت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال أليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح منهما ولو أن السموات والارضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال صلى الله عليه وسلم أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقلون وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الينا وأقربكم منا

في الآخرة أحاسنكم أخلاقا وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يارسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الأحنف فزاحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب من ابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات وقد قيل في وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصالي وفخوخا وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردته إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول أي بني ارفع إزارك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع أصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وقال صلى الله عليه وسلم إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض قال ابن الأعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وعن أبي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن إذ مر علينا ابن الأهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعر خده ينظر في عطفيه أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها في كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به لعنة والله

أن يمشي أحد طبيعته أو يتخلج تخلج المجنون خير له من هذا فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الى وتب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن شاب عليه بردة له حسنة فدعاه فقال له ابن آدم معجب بشبابك محب لشمائلك كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم

* وروى أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه بأصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر ياعم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال أتدرى من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين أو ثلاثا (ويروى) أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر فى جبة خز فقال ياعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب أما تعرفنى فقال بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشدوا فى هذا المعنى

عجبت من معجب بصورته * وكان بالامس نطفة مذره
وفى غد بعد حسن هيئته * يصير فى القبر جيفة قذره

وأنشد خلف الاحمر

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب
أشد لجاجا من الخنفساء * وأزهى اذا ما مشى من غراب

(وقال آخر)

قلت للمعجب لما * قال مثلى لا يراجع
ياقريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع

(ومثله لذى النون المصرى)

أيها الشامخ الذى لا يرام * نحن من طينة عليك السلام
انما هذه الحياة متاع * ومع الموت تستوى الاقدام

وقال مجاهد فى قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتبختر والله تعالى أعلم

(الباب الثالث والاربعون فى التفكر فى الايام وغيرها)

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر فى كتابه العزيز فى مواضع لا تحصى فقال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الآية أى تعاقبهما فى المجىء والذهاب يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أى بعده قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة قال عطاء أراد اختلافهما فى النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل

ياراقد الليل مسرورا بأوله * ان الحوادث قد تطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجج النارا

(وقول آخر)

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان قوما تفكروا فى الله عز وجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فأين الشيطان منهم قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا وعن عطاء قال انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير الى عائشة رضى الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول رسول الله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فأخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل شئ من أمره كان عجبا أتانى فى ليلتى حتى مس جلده جلدى ثم قال ذرينى أتعبد لربى عز وجل فقام الى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلى فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعى ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن ويعقلهن وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب الى أم ذر بعد موت أبى ذر فسألها عن عبادة أبى ذر فقالت كان نهاره أجمع فى ناحية البيت يتفكر وعن الحسن قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل لابراهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العمل وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يتمثل بقول القائل

اذا المرء كانت له فكرة * ففى كل شئ له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلى وقال الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أمنع قلوبهم التفكر فى أمرى وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها الى ما قد ادخر لها فى حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم فى الدنيا عيش ولم تقر لهم فى الدنيا عين وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة أدوم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة فى نعم الله عز وجل من أفضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن على ورآه ساكتا متفكرا أين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر

الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا أبو شريح يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقيل له ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال أبو سليمان أيضا الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب (وقال حاتم) من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه (ويروى) أن الله تعالى قال في بعض كتبه اني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر الى همه وهواه فاذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم يتكلم وقال الحسن ان أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جاره قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف وظن انه لص فلما نظر الى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما أجلها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم وقال أيضا الفضائل أربع احداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس

(الباب الرابع والاربعون في بيان شدة الموت)

عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وسئل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال اني أعلم ما يلقى ما منه عرق الا ويألم للموت على حدته وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موتي على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور ولو ان الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال اذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فأنت كيف تجده فقال كأن السموات مطبقة على الارض وكأن نفسي

يخرج من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا باذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام انه لما صارت روحه الى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وروى عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون على سكرات الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين ان الموت كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع كما ذكرناه الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته فقد روى عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فاذا هو رجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت الا صورتك لكان حسبه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فغلقها ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فاذا هي برجل في الدار فقالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعهم مني الحجاب فقال فأنت والله اذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه وروى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي اذ بدا الى ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف رؤيته في مثل تلك الحال وأما المطيع فانه يراه في أحسن صورة وأجملها فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن ابراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري فقال أدخلنيها ربها فقال أنا ربها

فقال أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب قد كرم حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعاً قالا له جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وإن كان فاجراً قالا له لا جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيراً فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبداً الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين إما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الألباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار

﴿الباب الخامس والأربعون في بيان القبر وسؤاله﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر بي فذاذا فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر إني إذا أتحول عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى والفذاذ هو الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصياً فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعاً خرج مسروراً ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فيما معتبر أما كان لك في متقدمنا إياك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك وتناديه بقاع الأرض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا فسلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بد له منه (وقال يزيد الرقاشي بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت أيها العبد المفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا وقال كعب إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى

ودعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال ويقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال
وتأتيه ملائكة الرحمة فتعرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى
بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبيد الله بن عبيد بن عمير في جنازة
بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شئ الا قبره
يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي وقال
البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قبره منكسا رأسه ثم قال اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان
المؤمن اذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون
مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب
السماء فليس منها باب الا يحب أن يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول
ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق
نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبي
محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهره انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال ذلك
نادى مناد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية ثم يأتيه آت
حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم فيقول وأنت
فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله علمت ان كنت لسريعا الى طاعة الله تعالى بطيئا
عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة
فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع الى أهلي
ومالي قال وأما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ
شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء
والارض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب الا يكره أن يدخل بروحه منه فاذا
صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول الله عز وجل ارجعوه فأروه
ما أعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا
مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ثم يأتيه آت
قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من
أنت فيقول أنا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا
فيقول وأنت فجزاك الله شرا ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان
على أن يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح
فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الارض ليس الثقلين قال ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين
من نار وافتحوا له بابا الى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت
يموت الا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته
وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك
وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضية ومرضيا

عملك الى روح الله وكرامته واذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنتزع روحه انتزاعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها الى سجين (وعن محمد بن كعب القرظي) انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال أى شئ تريد وفى أى شئ ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبنى البنيان وتشقق الانهار قال لا لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فيقول الجبار كلا انها كلمة هو قائلها أى ليقولها عند الموت وقال أبو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا ويضئ حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما اذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال فى عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغى أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان عدد هذه الحيات والعقارب بعدد الاخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات فان لها أصولا معدودة ثم تتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها أقسام وتلك الصفات بأعيانها هى المهلكات وهى بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤدى ايذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا أن مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فأمثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الايمان التصديق والتسليم

(الباب السادس والاربعون فى بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض)

قال الله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين يعنى لو تعلمون أمر القيامة باليقين لالهاكم عن ذلك أى عن التكاثر والتفاخر ولعلمتم ما ينفعكم من الخير ولتركتم مالا ينفعكم ويقال حقا لو تعلمون علم اليقين كما تعلمه الرسل ان المال والحساب فى الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما افتخرتم بالمال وكثرة العدد لترون الجحيم أقسم الرب انكم لترون النار وشدتها يوم القيامة عيانا ثم لترونها عين اليقين يعنى لترون الجحيم الرؤية التى هى نفس اليقين وهى المشاهدة والمعاينة التى لا شك فيها فان قيل الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للانبياء لانه نبوتهم وعين اليقين للملائكة لانهم يعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والعرش والكرسى فتكون لهم عين اليقين وان شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للاحياء لانهم يعرفون أن الاموات فى القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للاموات لانهم عاينوا القبور اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار وان شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهوالها وان شئت قلت علم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعنى لتسئلن يوم القيامة عن نعيم الدنيا من صحة الابدان والاسماع والابصار والمساكن وملاذ المآكل والمشارب وغير ذلك هل أديتم شكرها لموليها وعرفتموها أم كفرتم بها (أخرج) ابن أبى

حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر يعني عن الطاعات حتى زرتم المقابر يقول حتى يأتيكم الموت كلا سوف تعلمون يعني لو قد دخلتم قبوركم ثم كلا سوف تعلمون يقول لو قد خرجتم من قبوركم الى محشركم كلا لو تعلمون علم اليقين قال لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدي ربكم لترون الجحيم وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم وعن علي رضي الله عنه قال النعيم العافية وعنه قال من أكل خبز البر وشرب من الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذلك من النعيم الذي يسئل عنه وعن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الآية قال ناس من أمتي يعقدون السمن والعسل النقي فيأكلونه وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قال الصحابة يارسول الله أي نعيم نحن فيه وانما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم وروى الترمذي وغيره انه لما نزلت ألهاكم التكاثر فقرأ حتى بلغ النعيم قالوا يارسول الله أي نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال أما ان ذلك سيكون وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسئل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما الساعة قالا الجوع يارسول الله قال والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما فقوموا فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان فقالت انطلق يستعذب لنا الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة

﴿الباب السابع والاربعون في فضل ذكر الله تعالى﴾

قال الله تعالى فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني رحمه الله اني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم

أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات. وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال صلى الله عليه
وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع
عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب
الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن
تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلى الله عليه وسلم
من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي
الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم أصبح وأمس
ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله عز وجل
بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحا وقال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ
خير من ملائه وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى
إلي هرولت إليه يعني بالهرولة سرعة الإجابة وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل في
ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم
وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون
أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقال الفضيل بلغنا أن الله
عز وجل قال يا عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء
إن الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته
وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز
وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى أن كل
نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس تتحسر
أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى
فيمن عنده وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه
إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال صلى الله عليه وسلم
ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم
حسرة يوم القيامة وقال داود صلى الله عليه وسلم إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس
الغافلين فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي وقال صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح يكفر عن
المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن أهل السماء ليتراءون
بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله إذا
اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا ألا ترين ما يصنعون

لتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تعرفوا أخذت بأعناقهم اليك وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله اني أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم وقال صلى الله عليه وسلم أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء

الباب الثامن والاربعون في فضائل الصلوات

قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه قالوا لا شيء قال صلى الله عليه وسلم فان الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال صلى الله عليه وسلم ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر كما قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت ومعنى يذهبها يكفرها حتى كأنها لم تكن وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فانزلت عليه وأقم الصلاة طرفي النهار الآية فقال الرجل يارسول الله ألي هذا قال هي لمن عمل بها من أمتي وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا ذا قال

أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا قال نعم قال فإنك من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد وأنزل الله
حينئذ على رسوله وأقم الصلاة طرفي النهار الآية وقال صلى الله عليه وسلم بيننا وبين المنافقين
شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم
يعبأ الله بشيء من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين
وسئل صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من
حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع
فرعون وهامان وقال صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد
أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم
وقاعد وقال النبي صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد كفر أي قارب أن ينخلع عن الإيمان
بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من
ترك صلاة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضي الله عنه من توضأ فأحسن
وضوءه ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة
وتمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسعى له أن يتأخر فإن أعظمكم أجرا أبعدكم
دارا قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد
إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا
رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن
يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم أعني بكثرة السجود
وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل واسجد واقترب وقال
عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود
وقيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هي الغرر التي تكون في
وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي
النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكان يسمونه السجاد
ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول
يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقي أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل
بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من
خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى
الله عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل
إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

(الباب التاسع والأربعون في بيان عقوبة تارك الصلاة)

قال تعالى مخبرا عن أصحاب الجحيم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض
مع الخائضين وأخرج أحمد بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ومسلم بين الرجل وبين الشرك أو

الكفر ترك الصلاة وأبو داود والنسائي ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة والترمذي بين الكفر والايمان ترك الصلاة وابن ماجه بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة وصح كما رواه الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر والطبراني باسناد لا بأس به من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا وفي رواية بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة فاذا ترك الصلاة فقد كفر وفي أخرى ليس بين العبد والشرك الا ترك الصلاة فاذا تركها فقد أشرك وفي أخرى سندها حسن عرا الاسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لا اله الا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان وفي أخرى سندها حسن أيضا من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله والطبراني وغيره باسنادين لا بأس بهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع خلال قال لا تشركوا بالله شيأ وان قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة تعمدا فمن تركها متعمدا فقد خرج من الملة ولا تركبوا المعصية فانه سخط الله ولا تشربوا الخمر فانها رأس الخطايا كلها الحديث والترمذي كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيأ من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وصح خبر بين العبد وبين الكفر والايمان الصلاة فاذا تركها فقد أشرك والبزار لا سهم في الاسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له والطبراني لا ايمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد* وابن ماجه والبيهقي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وان حرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قام بصري أي ذهب مع بقاء صحة الحدقة قيل نداويك وتدع الصلاة أياما قلت لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان والطبراني بسند لا بأس به في المتابعات أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله علمني عملا اذا أنا عملته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيأ وان عذبت وحرقت وأطع والديك وان أخرجاك من مالك ومن كل شيء هو لك ولا تترك الصلاة متعمدا فان من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله الحديث وفي رواية سندها صحيح لكن فيه انقطاع لا تشرك بالله شيأ وان قتلت وحرقت ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ولا تشربن خمرا فانه أي شربها رأس كل فاحشة واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس وان أصاب الناس موت فاثبت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم في الله وابن حبان في صحيحه بكروا بالصلاة في يوم الغيم فانه من ترك الصلاة فقد كفر والطبراني عن أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كنت أصب على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وضوأه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيأ وان قطعت وحرقت بالنار ولا تعص والديك وان أمراك أن تخلي من أهلك ودنياك فتخله ولا تشربن خمرا فانها مفتاح كل شر ولا تتركن صلاة متعمدا فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله الحديث (وأبو نعيم) من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار ممن يدخلها والطبراني والبيهقي من ترك الصلاة فاعا وتر أهله وماله والحاكم عن علي انه صلى الله عليه وسلم قال والله يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لابعثن عليكم

رجلا فيضرب أعناقكم على الدين الحديث والبزار لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له
وأحمد مرسلا أربع فرضهن الله في الإسلام فمن أتى بثلاث لم يغنين عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا الصلاة
والزكاة وصيام رمضان وحج البيت والأصبهاني من ترك صلاة متعمدا أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله
حتى يراجع الله عز وجل توبة والطبراني من ترك الصلاة فقد كفر جهارا وأحمد بسند صحيح لكن
فيه انقطاع لا تترك الصلاة متعمدا فإنه من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله وابن أبي
شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا على علي رضي الله عنه قال من لم يصل فهو كافر ومحمد بن نصر وابن
عبد البر موقوفا على ابن عباس من ترك الصلاة فقد كفر وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال من ترك
الصلاة فلا دين له وابن عبد البر موقوفا على جابر من لم يصل فهو كافر وابن عبد البر وغيره موقوفا على
أبي الدرداء قال لا إيمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له وقال ابن أبي شيبة قال النبي صلى الله
عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وقال محمد بن نصر سمعت إسحق يقول صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
أن تارك الصلاة كافر وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة
عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر وقال أيوب ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه وقال تعالى فخلف
من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب قال ابن مسعود ليس
معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أخروها عن أوقاتها وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين هو أن لا
يصلي الظهر حتى تأتي العصر ولا يصلي العصر إلى المغرب ولا يصلي المغرب إلى العشاء ولا يصلي العشاء
إلى الفجر ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بغي وهو
واد في جهنم بعيد قعره شديد عقابه وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن
ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات
الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن نقصت
فقد خاب وخسر وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال صلى الله عليه وسلم هم
الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه أنه صلى الله عليه
وسلم ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها
لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف قال بعض
العلماء وإنما يحشر مع هؤلاء لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله أشبه قارون فيحشر معه أو بملكه أشبه
فرعون فيحشر معه أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة
فيحشر معه والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل
الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب
ابن سعد قال قلت لأبي يا أبتاه أرأيت قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون أينا لا يسهو أينا لا يحدث
نفسه قال ليس ذاك إنما هو إضاعة الوقت والويل شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا
لذابت من شدة حره فهو مسكن من يتهاونون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله تعالى ويندم على
ما فرط وابن حبان في صحيحه من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله والحاكم بسند فيه من اختلف في
توثيقه والأكثر على عدمه من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر والشيخان

والاربعة الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله زاد ابن خزيمة فى صحيحه قال مالك تفسيره ذهاب
الوقت والنسائى من الصلاة صلاة من فاتته فكأنما وتر أهله وماله يعنى العصر ومسلم والنسائى ان هذه
الصلاة يعنى العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين
ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد أى النجم وأحمد والبخارى والنسائى من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله
وأحمد باسناد صحيح وابن أبى شيبة من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تفوته فقد حبط عمله وابن أبى
شيبة مرسلا من ترك العصر حتى تغيب الشمس من غير عذر فقد حبط عمله وعبد الرزاق لأن يوتر
أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة العصر والطبرانى وأحمد من ترك صلاة العصر متعمدا
حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله والشافعى والبيهقى من فاتته الصلاة فكأنما أوتر أهله
وماله والبخارى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن
يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة انه
أتانى الليلة آتيان وانهما ابتعثانى وانهما قالا لى انطلق وانى انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع
واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر اى فيتدحرج
فيأخذه فلا يرجع اليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل فى المرة الاولى قال
قلت لهما سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فأتينا على رجل مستلق على قفاه واذا آخر قائم عليه
بكلوب من حديد واذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر أى يشق شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى
قفاه قال وربما قال أبو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول
قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الاولى
قال قلت سبحان الله ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فأحسب انه كان
يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا عليه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب من أسفل
منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا أى بفتح المعجمتين وسكون الواو بن صياح مع انضمام وفزع قال قلت
ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم واذا فى النهر
رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق فيسبح ثم يرجع
اليه كلما رجع اليه فغر أى بفاء ومعجمة مفتوحتين فتح فاه فألقمه حجرا قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق
فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلا مرآة واذا عنده نار يحشها أى بمهملة
مضمومة فمعجمة يوقدها ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا على روضة معتمة
أى طويلة النبات من أعتم اذا طال فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهرانى الروضة رجل طوال لا أكاد
أرى رأسه طولا فى السماء واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالا لى انطلق
انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم ار دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالا لى ارق فيها فارتقينا فيها
الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال شطر من
خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر منهم كأقبح ما أنت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر قال واذا النهر
معترض يجرى كأن ماءه المحض أى الخالص فى البياض فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك
السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قالا لى هذه جنة عدن وهذا منزلك قال فسما أى ارتفع بصرى صعدا
بفتحتين الى فوق فاذا قصر مثل الربابة أى السحابة البيضاء قال قالا لى هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله

فمكث فدرانى فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فانى رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذى
رأيت قالا انا سنخبرك أما الرجل الاول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن
فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه
وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق وأما الرجال والنساء العراة الذين هم
فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فانه آكل
الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن النار وأما الرجل
الطويل الذى فى الروضة فانه ابراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة فقال بعض
المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وأما القوم
الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم وفى
حديث البزار قال ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما
كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شئ قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤسهم عن الصلاة
وأخرج الخطيب وابن النجار علم الاسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدها ووقتها وسننها فهو
مؤمن وابن ماجه قال الله تعالى افترضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندى عهدا أن من حافظ
عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندى وأحمد والحاكم من علم أن الصلاة
عليه حق واجب وأداها دخل الجنة والترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه أول ما يحاسب
به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص
من فريضته قال الرب انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر
عمله على ذلك والنسائى أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس فى الدماء
وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فان كان أتمها
كتبت له تامة وان لم يكن أتمها قال للملائكة انظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فيكملون بها فريضته
ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك والطبرانى أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة ينظر فى
صلاته فان صلحت فقد أفلح وان فسدت فقد خاب وخسر وابن عساكر أول ما يحاسب به العبد صلاته فان
صلحت صلح سائر عمله وان فسدت فسد سائر عمله ثم يقول انظروا هل لعبدى نافلة فان كانت له أتم بها
الفريضة ثم الفرائض كذلك لعائدة الله ورحمته وأحمد وأبو داود والنسائى والحاكم أول ما يحاسب به
الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة فيقول ربنا عز وجل للملائكة وهو أعلم انظروا فى صلاة عبدى أتمها
أم نقصها فان كانت تامة كتبت تامة وان كان انتقص منها شيأ قال انظروا هل لعبدى من تطوع فان كان
له تطوع أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ثم يأخذ الاعمال على ذاكم والطيالسى والطبرانى والضياء فى
المختارة أتانى جبريل من عند الله تبارك وتعالى فقال يامحمد ان الله عز وجل يقول انى افترضت على أمتك
خمس صلوات من أوفى بهن على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن كان له بهن عهد أن أدخله
الجنة ومن لقينى قد انتقص من ذلك شيأ فليس له عندى عهد ان شئت عذبته وان شئت رحمته * والبيهقى
للصلاة ميزان فمن أوفى استوفى * والديلمى الصلاة تسود وجه الشيطان والصدقة تكسر ظهره والتحابب
فى الله والتودد فى العلم يقطع دابره فاذا فعلتم ذلك تباعد منكم كمطلع الشمس من مغربها والترمذى وابن
حبان والحاكم اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوى أمركم

تدخلوا جنة ربكم وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي أحب الاعمال الى الله الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أي الاعمال أحب الى الله في الاسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين ولذلك لما طعن عمر رضي الله عنه قيل له الصلاة يا أمير المؤمنين قال نعمت أما انه لا حظ لاحد في الاسلام أضاع الصلاة وصلى رضي الله عنه وجرحه يجري دمه وروى الذهبي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى العرش وتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتني واذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وأخرج أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم ومن كرمهم من أتى الصلاة دبارا أي بعد أن تفوته قال بعضهم وورد في الحديث أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في قبره وثلاث عند خروجه من القبر فأما اللواتي في الدنيا فالاولى تنزع البركة من عمره والثانية تمحى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين وأما التي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلا والثانية يموت جائعا والثالثة يموت عطشانا ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه وأما التي تصيبه في قبره فالاولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه القبر نارا فيتقلب على الجمر ليلا ونهارا والثالثة يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرني ربي أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء وأضربك على صلاة العشاء الى الفجر فكلما ضربه ضربة يغوص في الارض سبعين ذراعا فلا يزال في القبر معذبا الى يوم القيامة وأما التي تصيبه عند خروجه من القبر في موقف القيامة فشدة الحساب وسخط الرب ودخول النار وفي رواية فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات السطر الاول يا مضيع حق الله السطر الثاني يا مخصوصا بغضب الله السطر الثالث كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم أنت من رحمة الله وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لان المفصل أربع عشرة فقط ولعل الراوي نسي الخامس عشر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به الى النار فيقول يارب عاذا فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبا قال بعضهم أيضا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوما لاصحابه قولوا اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرون من الشقي المحروم قالوا من هو يارسول الله قال تارك الصلاة قال أيضا ويروى انه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة وان في جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة

شهر تلسع تارك الصلاة فيغلي فيها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه قال وروى أيضا أن امرأة من بني اسرائيل جاءت الى موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر النبيين فقالت يا نبي الله أذنبت ذنبا عظيما وقد تبت الى الله تعالى فادع الله أن يغفر لي ذنبي ويتوب علي فقال لها موسى وما ذنبك قالت يا نبي الله زنيت وولدت ولدا وقتلته فقال لها موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اخرجي يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب فنزل جبريل عليه السلام وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى أما وجدت شرا منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة عامدا متعمدا وقال أيضا روى عن بعض السلف انه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا فقال يا أماه أخبريني عن أختي وما كانت تعمل قالت وما سؤالك عنها قال يا أماه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فبكت وقالت يا ولدي كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها وهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يصلي فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها وكمالاتها في أوقاتها انه جواد كريم رؤف رحيم

﴿الباب الخمسون في بيان عرصات جهنم وعذابها﴾

قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم والمراد بالجزء ههنا الحزب والطائفة والفريق وقيل المراد بالابواب الاطباق طبق فوق طبق قال ابن جريج النار سبع دركات وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها ثم كذلك كذا قيل والمعنى ان الله تعالى يجزئ أتباع ابليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر والمعاصي مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيئات فكانت مواردها الابواب السبعة وعن علي رضي الله عنه قال أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملأ الاول ثم الثاني ثم الثالث حتى تملأ كلها وأخرج البخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي وروى الطبراني في الاوسط ان جبريل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالي أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي النار وانعت جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهيبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من في الارض كلهم جميعا والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من

حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي يا جبريل لا ينصدع قلبي فأموت قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكي فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال ومالي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وما أدري لعلي أبتلي بما ابتلي به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدري لعلي أبتلي بما ابتلي به هروت وماروت قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا ان يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد آمنكما أن تعصيا فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودي يا محمد لا تقنط عبادي انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وروى الامام احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها

﴿الباب الحادي والخمسون في بيان عذاب جهنم أيضا﴾

روى أبو داود والنسائي والترمذي وصححه واللفظ له لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل الى الجنة فقال انظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر اليها والى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد الا دخلها وأمر بها فحفت بالمكاره فقال ارجع اليها فانظر الى ما أعددت لاهلها فيها فرجع اليها فاذا هي قد حفت بالمكاره فرجع اليه وقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد فقال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما أعددت لأهلها فيها فنظر اليها فاذا هي يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو أحد الا دخلها والبيهقي بسند لا بأس به عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى انها ترمي بشرر كالقصر قال أما اني لست أقول كالشجر ولكن كالحصون والمدائن وأحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والترمذي ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يارسول الله من يدخله قال أعد للقراء المرائين بأعمالهم وان من أبغض القراء الى الله الذين يزورون الامراء الجورة والطبراني ان في جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعمائة مرة أعد للمرائين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وابن أبي الدنيا ان في النار سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف جحر في كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار والبخاري في تاريخه بسند فيه نكارة ان في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون ألف ثعبان في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر

أو المنافق حتى يواقع ذلك كله والترمذي بسند فيه انقطاع أن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم
فتهوى فيها سبعين خريفا وما تفضي إلى قرارها وكان عمر رضي الله عنه يقول أكثروا ذكر النار فإن
حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي
لو أن حجرا قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله
ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسله الله في جهنم منذ سبعين خريفا فالآن حين انتهى إلى قعرها والطبراني
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتا هاله فأتاه جبريل
عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الصوت يا جبريل فقال هذه صخرة هوت من شفير
جهنم من سبعين عاما فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله تعالى أن يسمعك صوتها فما رؤي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله عز وجل وأحمد والترمذي وحسنه لو أن رصاصة مثل هذه وأشار
إلى الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها
أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وأحمد وأبو يعلى والحاكم
وصححه لو أن مقمعا من حديد جهنم وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض والحاكم وصححه
لو ضرب الجبل بمقمع من حديد جهنم لتفتت فصار رمادا (المقمع المطراق وقيل السوط) وابن أبي الدنيا
إن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا لذابت منه وإن مع كل إنسان منهم حجرا وشيطانا والحاكم
وصححه إن الأرضين السبع بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام فالعليا منها على ظهر حوت قد
التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح فلما أراد الله تعالى أن
يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلكهم قال يا رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر
الثور فقال له الجبار تبارك وتعالى إذن تكفئ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي
قال الله في كتابه العزيز ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة
فيها كبريت جهنم قالوا يا رسول الله أللنار كبريت قال نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت
لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت والخامسة فيها حيات جهنم إن أفواهها كالأودية تلسع الكافر
اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيها عقارب جهنم إن أدنى عقربة منها كالبغال الموكفة
تضرب الكافر ضربة تنسيه ضربتها حر جهنم والسابعة فيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فإذا
أراد الله أن يطلقه لما شاء من عباده أطلقه وأحمد والطبراني وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه إن في
النار حيات كأمثال أعناق البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها سبعين خريفا وإن في النار عقارب
كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة والترمذي وابن حبان في صحيحه
والحاكم وصححه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تبارك وتعالى كالمهل قال كعكر الزيت فإذا قرب إلى
وجهه سقط فروة وجهه فيه * والترمذي وقال حسن غريب صحيح إن الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم
حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان والحميم الماء
الحار الذي يحرق وقال الضحاك الحميم يغلي منذ خلق الله السموات والأرض إلى يوم يسقونه ويصب على
رؤسهم وقيل هو ما يجتمع من دموع أعينهم في حياض النار فيسقونه وقيل غير ذلك وهو المذكور في
قوله تبارك وتعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وأحمد والترمذي وقال غريب والحاكم وقال صحيح

على شرط مسلم عنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره قال الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال جل ذكره وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وأحمد والحاكم وصححه لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا والغساق هو المذكور في قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق وقوله تعالى الا حميما وغساقا واختلف فيه فعند ابن عباس رضي الله عنهما هو ما يسيل من جلد الكافر ونحوه وعند آخرين هو صديدهم وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في عقبيه وكعبيه فيجر لحمه كما يجر المرء ثوبه والترمذي وقال حسن صحيح أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فقال صلى الله عليه وسلم لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه وفي رواية فكيف بمن ليس له طعام غيره وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وطعاما ذا غصة شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج والشيخان ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع والمنكب مجمع رأس الكتف والعضد وأحمد ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء أي وهو جبل ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أي نحو ثلاثة أيام وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار أي ملك باليمن له ذراع معروف المقدار كذا قال ابن حبان وغيره وقيل ملك بالعجم ومسلم ضرس أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث والترمذي ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث من الربذة أي كما بين المدينة والربذة وأحمد بسند حسن ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة وفي رواية ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة وأحمد والطبراني واسناده قريب من الحسن كما قاله الحافظ المنذري والترمذي عن الفضيل بن يزيد ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس والفضل ابن يزيد عن أبي العجلان ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس أخرجه البيهقي وغيره وهو الصواب قال النبي صلى الله عليه وسلم يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة تسعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وأحمد بسند صحيح والحاكم وصححه عن مجاهد قال ابن عباس أتدري ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدري ان بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجري فيه أودية القيح والدم قلت أنهار قال لا بل أودية

﴿الباب الثاني والخمسون في بيان فضل الخوف من الذنب﴾

اعلم ان أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحذر عقابه وغضبه وبطشه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم * جاء أنه صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف وعن

وهب

وهب بن الورد قال كان عيسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسلم يقول حب
الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المصيبة ويبعدان العبد من لذات الدنيا وشهواتها ومعاصيها
وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق أحدهم عدد الحصى ذهبا لخشي أن لا ينجو لعظم
الذنب في نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تسمعون ما أسمع أطت السماء وحق لها أن تئط
والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد لله تعالى أو قائم أو راكع ولو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم أو لصعدتم إلى الصعدات أي الجبال تجأرون إلى الله تعالى خوفا
من عظيم سطوته وشدة انتقامه وفي رواية لا تدرون تنجون أو لا تنجون وقال بكر بن عبد الله المزني
من أتى الخطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وفي الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من
العذاب لم يأمن النار وفي الصحيحين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك
الأقربين فقال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغني
عنكم من الله شيئا يا عباس عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من
الله شيئا يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا وعن عائشة رضي الله عنها
أنها قالت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يا رسول الله هو الذي
يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلي
ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه رواه أحمد وقيل للحسن البصري يا أبا سعيد كيف نصنع
بمجالسة قوم يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال إنك والله إن تصحب قوما يخوفونك حتى
تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى يلحقك المخاوف ولما طعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وقربت وفاته قال لابنه ويلك ضع خدي على الأرض لا أم لك وويلي وأمي وويلي إن لم يرحمني
وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الأمصار وفعل
بك وفعل قال وددت أن أخرج لا علي ولا لي وفي رواية لا أجر ولا وزر وكان زين العابدين بن علي
ابن الحسين رضي الله عنهم إذا توضأ وفرغ من وضوئه أخذته رعدة فقيل له في ذلك فقال ويحكم أتدرون إلى
من أقوم ولمن أريد أن أناجي وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه
وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله
رجلا ذكر الله أي وعيده ووعده أو آياته خاليا ففاضت عيناه أي خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب
وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عينان لا تمسهما النار عين بكت في جوف
الليل من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله تعالى وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله
وعينا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج أي لا يدخل النار رجل بكى من خشية
الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم وقال عبد الله بن عمرو بن
العاص رضي الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار وقال عون
ابن عبد الله بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم الله ذلك المكان
على النار وكان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل من البكاء أي فوران وغليان

كغليان القدر على النار وقال الكندي المكامن خشية الله تطفئ الدمعة منه أمثال البحار من النار وكان ابن السماك يعاتب نفسه و يقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن عاملون وعن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصني قال يا سفيان لا مروأة لكذوب ولا راحة لحسود ولا إخاء لملول ولا سودد لسيئ الخلق قلت يا ابن رسول الله زدني قال يا سفيان كف عن محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره أي الحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور في أمرك الذين يخشون الله قلت يا ابن رسول الله زدني قال يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله الى طاعة الله قلت يا ابن رسول الله زدني قال أدبني أبي بثلاث قال لي أي بني ان من يصحب صاحب السوء لا يسلم ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال ابن المبارك سألت وهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصي الله تعالى قال لا ولا من يهم بمعصية الله تعالى وقال الامام أبو الفرج بن الجوزي الخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذا فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة و بقدر ما يكف عن المعصية و يحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة و به تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة والاعمال الفاضلة التي يتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والاخبار كقوله تعالى هدى و رحمة للذين هم لربهم يرهبون وقوله تعالى رضي الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وقوله تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال تعالى سيذكر من يخشى وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكل ما دل من الآيات والاحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم وأخرج ابن أبي الدنيا أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه وتعالى وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ان أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وان خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وقال أبو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى انه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون

﴿الباب الثالث والخمسون في بيان فضل التوبة﴾

جاء في فضل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا (والاحاديث في ذلك كثيرة) أخرج مسلم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها والترمذي وصححه ان من قبل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والارض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه وصح أيضا ان الله تعالى جعل بالمغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الآية قيل وليس في هذه الرواية ولا الاولى تصريح برفعه كما صرح به البيهقي انتهى ويجاب بان مثل هذا لا يقال من قبل الرأي فله حكم

المرفوع والطبراني بسند جيد للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من
نحوه وابن ماجه بسند جيد لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم والحاكم
وصححه من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه كل ابن
آدم خطاء وخير الخطائين التوابون والشيخان إن عبدا أصاب ذنبا فقال يارب إني أذنبت ذنبا فاغفره لي
فقال له ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر وربما
قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب إني أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي فقال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب
ويأخذ به فغفر له ثم مكث ما شاء الله تعالى ثم أصاب ذنبا آخر وربما قال أذنب ذنبا آخر فقال يارب إني
أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي فقال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدي فليعمل
ما شاء قال المنذري قوله فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد
إليه بدليل قوله ثم أصاب ذنبا آخر فليعمل إذا كان هذا دأبه ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره
كفارة لذنبه فلا يضره لا أن المعنى أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه
توبة الكذابين وروى جماعة وصححوه إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب
ونزع واستغفر صقل منها وإن زاد زادت حتى يعلق بها قلبه فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والترمذي وحسنه إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي تبلغ روحه
حلقومه والطبراني بسند حسن لكن فيه انقطاع والبيهقي بسند مجهول عن معاذ قال أخذ بيدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمشى ميلا ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء
الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام
ولزوم الإمام والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل
وأنهاك أن تشتم مسلما أو تصدق كاذبا أو تكذب صادقا أو تعصي إماما عادلا وأن تفسد في الأرض
يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وحجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية والأصبهاني
إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم
القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب * والأصبهاني أيضا النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر
المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله
وإنما الأعمال بخواتيمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة واحذروا التسويف
فإن الموت يأتي بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فإن النار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والطبراني
بسند صحيح لكن فيه انقطاع التائب من الذنب كمن لا ذنب له ورواه البيهقي من طريق آخر وزاد
والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه الندم توبة أي
إنه معظم أركانها كخبر الحج عرفة ولا بد في الندم أن يكون من حيث المعصية وقبحها وخوف عقابها فلا ندم
لنحو هتك أو ضياع مال على المعصية أو نحو ذلك والحاكم وصححه لكن فيه ساقط ما علم الله من عبد ندامة
على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفره منه ومسلم وغيره والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله
بكم ولجاء بقوم غيركم يذنبون ويستغفرون الله فيغفر لهم ومسلم ليس أحد أحب إليه المدح من الله من
أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب إليه العذر

من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل ومسلم ان امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله أصبت حدا فأقمه علي فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم
وليها فقال أحسن اليها فاذا وضعت فأتني بها ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها
ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال عمر تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت قال صلى الله عليه وسلم
لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله
عز وجل والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع
مرات ولكن سمعته أكثر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الكفل من بني اسرائيل
لا يتورع من ذنب عمله فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها فلما قعد منها مقعد الرجل
من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أأكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه
الا الحاجة فقال تفعلين أنت هذا وما فعلتيه قط اذهبي فهي لك وقال لا والله لا أعصي بعدها أبدا
فمات من ليلته وأصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال كانت قريتان احداهما صالحة والاخرى ظالمة فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية
الصالحة فأتاه الموت حيث شاء الله فاختصم فيه الملك والشيطان فقال الشيطان والله ما عصاني قط
وقال الملك انه قد خرج يريد التوبة فقضى الله بينهما أن ينظر الى أيهما أقرب فوجدوه أقرب الى القرية
الصالحة بشبر فغفر له قال معمر وسمعت من يقول قرب الله اليه القرية الصالحة والشيخان كان فيمن
كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الارض فدل على راهب فأتاه فقال له انه
قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل
على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى
أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء فانطلق
حتى اذا بلغ نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة
الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في
صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما هو أدنى كان له فقاسوا فوجدوه أدنى
الى الارض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة وفي رواية فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من
أهلها وفي رواية فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدي والى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه
الى هذه أقرب بشبر فغفر له وفي رواية قال قتادة قال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها
والطبراني بسند جيد ان رجلا أسرف على نفسه فلقي رجلا فقال ان الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم
ظلما فهل تجد لي من توبة قال لا فقتله وأتى آخر فقال ان الآخر قتل مائة نفس كلها ظلما فهل تجد لي من
توبة فقال ان حدثتك أن الله لا يتوب على من تاب كذبتك ههنا قوم يتعبدون فأتهم تعبد الله معهم فتوجه
اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فبعث الله اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين
المكانين فأيهم كان أقرب فهو منهم فوجدوه أقرب الى دير التوابين بأنملة فغفر له وفي رواية له ثم أتى
راهبا آخر فقال اني قتلت مائة نفس فهل تجد لي من توبة فقال أسرفت ما أدري ولكن ههنا قريتان قرية
يقال لها نصرة والاخرى يقال لها كفرة فأما أهل نصرة فيعملون عمل أهل الجنة لا يثبت فيها غيرهم وأما

أهل كفرة فيعملون عمل أهل النار لا يثبت فيها غيرهم فانطلق إلى نصرة فإن ثبت فيها وعملت عمل أهلها ولا شك في توبتك فانطلق يريدها حتى إذا كان بين القريتين أدركه الموت فسألت الملائكة ربها عنه فقال انظروا إلى أي القريتين كان أقرب فاكتبوه من أهلها فوجدوه أقرب إلى نصرة بقيد أنملة فكتب من أهلها

﴿الباب الرابع والخمسون في بيان النهي عن الظلم﴾

قال الله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وقال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة وفي بعض الكتب يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري وما أحسن قول بعضهم

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا * فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

(وقول الآخر)

إذا ما الظلوم استوطأ الأرض مركبا * ولج علوا في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الزمان فإنه * سيبدي له ما لم يكن في حسابه

وقال بعض السلف لا تظلم الضعفاء فتكون من شرار الأقوياء وقال أبو هريرة رضي الله عنه إن الحبارى لتموت هزلا في وكرها من ظلم ظالم وقيل مكتوب في التوراة ينادي مناد من وراء الجسر يعني الصراط يا معشر الجبابرة الطغاة ويا معشر المترفين الأشقياء إن الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم وعن جابر رضي الله عنه قال لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم في أرض الحبشة فقال فتية وكان منهم علي يا رسول الله بينما نحن يوما جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها فلما قامت التفتت إليه ثم قالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون سوف تعلم ما أمري وأمرك عنده غدا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ من شديدهم لضعيفهم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا أوى بهم في الآخرة إلى النار أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يسوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم ورجل استأجر أجيرا فاستعمله ولم يوفه أجره ورجل ظلم امرأة في صداقها وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى الله وقالوا يا رب مع من أنت قال مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه وعن وهب بن منبه رضي الله عنه بنى جبار من الجبابرة قصرا وشيده فجاءت عجوز فقيرة فبنت إلى جانبه شيئا تأوي إليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها فقال لمن هذا فقيل لامرأة فقيرة تأوي إليه فأمر بهدمه فهدم فجاءت العجوز فرأته مهدوما فقالت من هدمه فقيل لها الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها إلى السماء فقالت يا رب أنا لم أكن حاضرة فأين كنت قال فأمر الله عز وجل جبريل أن يقلب القصر على

من فيه وعليه (وقيل) لما حبس بعض البرامكة وولده قال يا أبت بعد العز صرنا في القيد والحبس قال يا بني دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عز وجل عنها وكان يزيد بن حكيم يقول ما هبت أحدا قط هيبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا ناصر له إلا الله يقول لي حسبي الله الله بيني وبينك وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرف ما ظلمه فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيآتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا قلنا يا رسول الله كيف وإنما نأتي حفاة عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيآت جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة (وحكي) أن كسرى اتخذ مؤدبا لولده يعلمه ويؤدبه فلما بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وضربه ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فحقد الولد على المعلم إلى أن كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا ضربا وجيعا من غير جرم ولا سبب فقال له المعلم اعلم أيها الملك أنك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذيقك طعم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا بعد فقال له جزاك الله خيرا ثم أمر له بجائزة وصرفه

﴿الباب الخامس والخمسون في النهي عن ظلم اليتيم﴾

قال تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولي مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلما أي لأجله أو حال كونهم ظالمين وخرج به أكلها بحق كأكل الولي بشروطه المقررة في كتب الفقه قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أي بقدر الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضا أو بقدر أجرة عمله أو إن اضطر فإن أيسر قضاه وإلا فهو في حل وقد نبه تعالى على تأكد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إذ المراد بشهادة السياق خلافا لمن حمل الآية على النهي عن الوصية بأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان في حجره يتيم على أنه يحسن إليه حتى في الخطاب ولا يخاطبه إلا بنحو يا بني مما يخاطب به أولاده ويفعل معه من البر والمعروف والإحسان والقيام في ماله ما يحب أن يفعل عياله وذريته من بعده فإن الجزاء من جنس العمل مالك يوم الدين أي الجزاء كما تدين تدان أي كما تفعل يفعل معك بينما الإنسان آمن متصرف في مال الغير وعلى أولاد غيره وإذا بالموت قد حل به فيجزيه الله تعالى في ماله وذريته وعياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعله مع غيره إن خيرا فخير وإن شرا فشر فليخش العاقل على أولاده وماله إن لم يكن له خشية على دينه ويتصرف على الأيتام الذين في حجره بما يحب أن يتصرف ولي أولاده لو كانوا أيتاما عليهم في ماله وجاء أن الله تعالى أوحى إلى داود صلى الله على نبينا وعليه وسلم

ياداود كن لليتيم كالأب الرحيم وكن للارملة كالزوج الشفيق واعلم انك كما تزرع كذا تحصد أي كما تعمل يعمل معك اذ لا بد أن تموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة وجاء في التشديد في أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما في الآية من ذلك الوعيد الشديد تحذيرا للناس عن هذه الفاحشة الوخيمة المهلكة أخرج مسلم وغيره يا أباذر اني أراك ضعيفا واني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم والشيخان وغيرهما اجتنبوا السبع الموبقات أي المهلكات قالوا يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والبزار الكبائر سبع الاشراك بالله وقتل النفس بغير حق وأكل الربا وأكل مال اليتيم الحديث والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه وابن حبان في صحيحه ان من جملة كتابه صلى الله عليه وسلم الذي أرسله مع عمرو بن حزم الى أهل اليمن وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمي المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا فقيل من هم يارسول الله قال ألم تر أن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وفي حديث المعراج عند مسلم واذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحاهم وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وفي تفسير القرطبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت ليلة أسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار تخرج من أسافلهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

الباب السادس والخمسون في بيان ذم الكبر

تذكر مما ورد في ذم الكبر زيادة على ما تقدم لشؤمه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من ابليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والارض الى عذاب السعير وفي الحديث القدسي الكبر يائي ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منهما قصمته ولا أبالي وورد يحشر المتكبرون أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهي عصارة أهل النار وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك جائر وعائل مستكبر وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ قوله تعالى واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يأمر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا أستطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره قال فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده وروى ان ثابت بن قيس بن شماس قال يارسول الله اني امرؤ حبب الي من الجمال ماترى أفمن الكبر هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله

أمثاله أو خير منه (قال وهب بن منبه) لما قال موسى عليه السلام لفرعون آمن ولك ملكك قال حتى أشاور هامان فشاور هامان فقال هامان بينما أنت رب تعبد اذ أنت عبد تعبد فاستنكف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأغرقه الله (وقالت قريش) فيما أخبر الله عنهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال قتادة عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى أهم يقسمون رحمة ربك ثم أخبرهم الله عن تخبطهم حين دخلوا النار فلم يروا فيها الذين ازدروهم كأهل الصفة فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قيل يعنون عمارا وبلالا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم قال وهب رضي الله عنه العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة وكذلك العلم تحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وذلك لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس رضي الله عنه يكون قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا ثم التفت الى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الامة أولئك هم وقود النار وقال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم (روي) ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به قال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل فكيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عني فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي رواية أخرى فتحولت الغمامة الى رأس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم وروي ان رجلا ذكر بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني أرى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسألك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم أفضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل مصحاك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله (روي) عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل فقال أبو ذر رحمه الله فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي وقال علي كرم الله وجهه من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام وقال أنس لم يكن شخص أحب الى أصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع بعض الاصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما التعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لاحد هذين المعنيين

﴿الباب السابع والخمسون في فضل التواضع والقناعة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه وقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قال اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكأن رجلا من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها وقال صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبدا رسولا أو ملكا نبيا فلم أدر أيهما أختار وكان صفي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي اليه فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال المسيح عليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال صلى الله عليه وسلم أربع لا يعطيهن الله الا من أحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى أحد الا قام من جنبه فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوما مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار ومن أحسن ما قيل شعرا

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر * على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه * على طبقات الجو وهو وضيع

(ومما جاء في فضل القناعة زيادة على ما تقدم) قال صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره وأحسن الى من شئت تكن أميره وقليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال بعضهم ما رأيت غنى أفضل من القناعة ولا فقر أشد من الرغبة وأنشد

أفادتني القناعة ثوب عز * وأي غنى أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال * وصير بعدها التقوى بضاعه
تحز ربحين تغنى عن بخيل * وتنعم في الجنان بصبر ساعة

(وقال آخر)

قنع النفس بالكفاف والا * طلبت منك فوق ما يكفيها

انما أنت طول عمرك ماعمرت فى الساعة التى أنت فيها

(وقال آخر)

اذا الرزق عنك نأى فاصطبر * ومنه اقتنع بالذى قد حصل
ولا تتعب النفس فى تحصيله * فان كان ثم نصيب وصل

(وقال آخر)

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا ورِيا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

(وقال آخر)

ياطالب الرزق الهنى بقوة * هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الاسود بقوة جيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصابته خصاصة قال لاهله قوموا الى الصلاة ويقول أمرت بهذا ويقرأ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وأنشدوا

دع التهافت فى الدنيا وزينتها * ولا يغرنك الاكثار والخشع
واقنع بما قسم الرحمن وارض به * ان القناعة مال ليس ينقطع
وخل ويلك فضول العيش أجمعها * فليس فيها اذا حققت متسع

ولبعضهم

امنع بما تلقى بلا بلغة * فليس ينسى ربنا النمله
ان أقبل الدهر فقم قائما * وان تولى مدبرا نم له

ومن كلام الحكماء ليست العزة فى حسن البزة فان التنعم بلبس الثياب والتجمل بحسن الزى يشغل العبد حتى لا يعبأ بشئ من أمر دينه ميلا لدنياه وقلما يخلو صاحبه من العجب وأنشد بعضهم

رضيت من الدنيا بلقمة يائس * ولبس عباء لا أريد سواهما
لانى رأيت الدهر ليس بدائم * فدهرى وعمرى فانيان كلاهما

(الباب الثامن والخمسون فى بيان غرور الدنيا)

جميع أحوال الدنيا مصروفة الى مايسوء ويسر فليست مساعدة لجميع أهلها وانما هى متلونة على ما اقتضته حكمة الحكيم قال سبحانه ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك قال بعض المفسرين مختلفين فى الرزق يريد اختلافهم فى الغنى والفقر فى الواجب على من ساعدته دنياه وأحمدها له مولاه ان يتلقى ذلك بشكره ويتوجه اليه بصنائع المعروف فانها تقى مصارع السوء ولا يغتر بدنياه وكفى بقوله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى الآية تنبيها على الغرور بها وقال صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبطون سهر الحمقى واجتهادهم والمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وقال الشاعر

ومن يحمد الدنيا لشئ يسره * فسوف لعمرى عن قليل يلومها

اذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وان أقبلت كانت كثيرا همومها

(وقال آخر)

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا

ما كان في حق حر أن يذل لها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا

وأنشد ابن بسام

أف للدنيا وأيامها * فانها للحزن مخلوقه

همومها لا تنقضي ساعة * عن ملك فيها ولا سوقه

يا عجبا منها ومن شأنها * عدوة للناس معشوقه

(وأنشد آخر)

وقائلة أرى الايام تعطي * لئام الناس من رزق حثيث

وتمنع من له شرف وأصل * فقلت لها حذى أصل الحديث

رأت حل المكاسب من حرام * فحادت بالخبيث على الخبيث

(وأنشد آخر أيضا)

سل الايام ما فعلت بكسرى * وقيصر والقصور وساكنيها

أما استدعتهم للبين طرا * فلم تدع الحليم ولا السفيها

وحكى ان اعرابيا نزل بقوم فقدموا اليه طعاما فأكل ثم نام في ظل خيمتهم فاقتلعوا الخيمة فأصابه حر الشمس فانتبه فارتحل وهو يقول

ألا انما الدنيا كظل بنيته * ولا بد يوما أن ظلك زائل

(وقال أيضا)

ألا انما الدنيا مقيل لراكب * قضى وطرا من منزل ثم هجرا

وقال بعض الحكماء لصاحب له ود أجهل الداعي وأعذر اليك الطالب ولا أحد أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطاه العمل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال بعضهم ان العبد يحاسب على التحزن على ما فاته من الدنيا ويحاسب بفرحه في الدنيا اذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات وهي لمسعر بن كدام

نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم

يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى * كما غر باللذات في النوم حالم

وشغلك فيما سوف تكره غبه * كذلك في الدنيا تعيش البهائم

الباب التاسع والخمسون في بيان ذم الدنيا والتحذير منها

روى عن أبي امامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال يا ثعلبة أما لك في

أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا
وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه
ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود
فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع
ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق
يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال ما فعل
ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبر بأمره كله فقال يا ويح ثعلبة
يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن
صلاتك سكن لهم وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة
ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من
المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة
فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه
إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله
فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا لا يجب عليك ذلك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى
خذاها نفسي بها طيبة وإنما هي لتأخذاها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة
فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله
عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع
السليمي فأنزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما
أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة
فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة
حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك
فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن
يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله
عنه فأبى أن يقبلها منه وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد خلافة
عثمان * وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال أكون معك
وأصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث
فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا
أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه
فأكل هو وذاك الرجل ثم قال للخشف قم بإذن الله فقام فذهب فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية
من أخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا
قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى
عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا بإذن الله تعالى فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لي

وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال أنا الذي أخذت الرغيف فقال كله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال وأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم الى القرية حتى يشتري لنا طعاما نأكله قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لاى شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكني أضع في هذا الطعام سما فاقتلهما وآخذ المال وحدي قال ففعل وقال ذانك الرجلان لاي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها (وحكي) أن ذا القرنين أتى على أمة من الامم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض وأرسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالي اليه حاجة فان كان له حاجة فليأتني فقال ذو القرنين صدق فأقبل اليه ذو القرنين وقال له أرسلت اليك لتأتيني فأبيت فها أنا قد جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين مالي أراكم على حالة لم أر أحدا من الامم عليها قال وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما قال انما كرهناهما لان أحدا لم يعط منهما شيأ الا تاقت نفسه ودعته الى ماهو أفضل منه وقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قال أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها قال كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض أعطاه الله سلطانا على أهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم أهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأتخذك أخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعا قال ذو القرنين ولم قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحدا يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به وما أحسن قول القائل

يامن تمتع بالدنيا وزينتها * ولا تنام عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما ليس تدركه * تقول لله ماذا حين تلقاه

وقول الآخر

عميت عن الدنيا الروعة جاهل * وتأخير ذي فضل فقال الت جد العدرا

سوالجهل أسائي لهدارعتهم * وأهل التقى أسماء صرتى الأحوا

﴿وقول محمود الباهلي﴾

ألا إنما الدنيا على المرء فتنة * على كل حال أقبلت أو تولت

فإن أقبلت فاستقبل الشكر دائما * ومهما تولت فاصطبر وتثبت

﴿الباب الستون في فضل الصدقة﴾

قال صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه أي ملتبسة بيمينه و بركته ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه بفتح فضم فتشديد مهره أول ما يولد حتى تكون مثل الجبل وفي رواية كما يربي أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات يمحق الله الربا و يربي الصدقات ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز و جل وفي رواية للطبراني ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده بصدقة الا ألقيت في يد الله أي الا قبلها الله تعالى و رضي بها قبل ان تقع في يد السائل وما فتح عبد باب مسئلة له عنها غنى الا فتح الله له باب فقر يقول العبد مالي مالي وانما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى ماسوى ذلك فهو ذاهب و تاركه للناس (وفي الخبر) ما منكم من أحد الا سيكلمه الله ليس بينه و بينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم و ينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم و ينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة وفي الخبر أيصالي أحدكم وجهه من النار ولو بشق تمرة وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار * يا كعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد في فكاك نفسه فمعتقها وغاد موبقها يا كعب بن عجرة الصلاة قربات والصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يذهب الجليد على الصفا وفي رواية كما يطفئ الماء النار * ان الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء وفي رواية ان الله ليدرأ أي يدفع بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء وفي الحديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وفي آخر لا يخرج رجل شيأ من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطانا وقيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال جهد المقل وابدأ بمن تعول وقال صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة درهم فقال رجل كيف ذلك يا رسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من عرضه أي بضم أوله المهمل و بالصاد المعجمة جانبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به وقال صلى الله عليه وسلم لا ترد سائلك ولو بظلف هو بكسر أوله المعجم للبقر والغنم بمنزلة الحافر للفرس * سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الى أن قال و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه * صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وفي رواية للطبراني صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف وفي أخرى له ولأحمد ما الصدقة يا رسول الله قال أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد ثم قرأ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة * قيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال سر الى

فقير أو جهد من مقل ثم قرأ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم الآية
من كسا مسلما ثوبا لم يزل في ستر الله تعالى ما دام عليه منه خيط أو سلك * أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري
كساه الله تعالى من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمر الجنة وأيما مسلم سقى
مسلما على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم * الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي رحم ثنتان صدقة
وصلة * أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي المضمر لعداوته في كشحه أي خصره كناية عن
باطنه * من منح منيحة لبن أي بأن أعطى لبونا لمن يأكل لبنها ثم يردها أو ورق أي بأن أقرض دراهم أو
هدى زقاقا أي إلى الطريق كان له مثل عتق رقبة * كل قرض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت
ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر * من يسر على معسر
يسر الله عليه في الدنيا والآخرة * أي الإسلام خير قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم
تعرف أنبئني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء فقلت أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة قال أطعم
الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام * أعبدوا
الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام * من موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين
من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه باعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين
مسيرة خمسمائة عام * إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال كيف أعودك
وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده
يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه
استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم
تسقني قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت
أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي

* الباب الحادي والستون في قضاء حاجة أخيه المسلم *

قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب
المجاهدين في سبيل الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى
على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في
الحساب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لأخيه المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له رواه أبو نعيم
في الحلية وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل
خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه
فإن مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق
ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فإذا ملوا نقلها إلى غيرهم وعن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الأسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال

يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يرفعه اذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرأ اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وانا أنزلناه في ليلة القدر وأم الكتاب فان فيها حوائج الدنيا والآخرة وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الي فأرسل الي رسولا أو اكتب لي كتابا فاني لأستحيي من الله أن يراك ببابي وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من أحد أودع قلبا سرورا الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقال أيضا فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان العجل اذا أفرط في مص ثدي أمه نطحته وما أحسن قول الشاعر

لا تقطعن عادة الاحسان عن أحد * مادمت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت * اليك لا لك عند الناس حاجات

﴿وقول الآخر﴾

اقض الحوائج ما استطعت وكن لهم أخيك فارج
فلخير أيام الفتى * يوم قضى فيه الحوائج

وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجريت الخير على يديه وويل لمن أجريت الشر على يديه

﴿الباب الثاني والستون في فضل الوضوء﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم أيضا ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه الصلاة والسلام اذا توضأ العبد المسلم فمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له ويروى أن الطاهر كالصائم وقال عليه الصلاة والسلام من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل

فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وجه رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر لكسوة الكعبة فنزل الرجل ببعض أرض الشام الى جانب صومعة حبر من الاحبار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأتاه واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلا ثم دخل على الحبر فسأله ليسمع منه وأخبره علمه فشكى اليه حبسه على بابه فقال له الحبر انا كما رأيناك حين عدلت اليناعلى هيئة السلطان فتخوفناك واغا حبسناك على الباب لان الله تبارك وتعالى قال لموسى ياموسى اذا تخوفت سلطانا فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فان من توضأ كان فى أمانى مما يتخوف فاعلمنا ذلك الباب حتى توضأت وتوضأ جميع من فى الدار وصلينا فأمناك لذلك ثم فتحنا لك الباب

الباب الثالث والستون فى فضل الصلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كثر بالحث عليها الاقتداء بكتاب الله العزيز فما ورد فى فضلها زيادة على ما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم ما أعطى عبد عطاء خيرا من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما قال محمد ابن سيرين رحمه الله تعالى لو خيرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترت الركعتين على الجنة لان فى الركعتين رضا الله تعالى وفى الجنة رضائى ويقال ان الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعبدهم بالصلاة لا يفترون ساعة فجعل لكل أهل سماء نوعا من العبادة فأهل سماء قيام على أرجلهم الى نفخة الصور وأهل سماء ركع وأهل سماء سجد وأهل سماء مرخية الاجنحة من هيبته تعالى وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش يسبحون يحمدون ربهم ويستغفرون لمن فى الارض فجمع الله ذلك كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عبادة أهل كل سماء وزادهم القرآن يتلونه فيها فطلب منهم شكرها وشكرها اقامتها بشرائطها وحدودها قال الله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال وأقيموا الصلاة وقال وأقم الصلاة وقال والمقيمين الصلاة فلم تجد ذكر الصلاة فى موضع من التنزيل الا مع ذكر اقامتها ولما بلغ ذكر المنافقين قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة وذلك ليعلم ان المصلين كثير والمقيمين للصلوات قليل وأهل الغفلة يعملون الاعمال على الترويح ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان منكم من يصلى الصلاة فلا يكتب له من صلاته الا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرها يعنى انه لا يكتب له من صلاته الا ما عقل منها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه واعلم ان شأن صلاة العبد انما قبال العبد على الله فاذا لم يقبل على صلاته فلها حديث النفس كان غيرته من وقف الى باب ملك معتذرا من خطيئته وزلته فلما وصل الى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه الملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وانما يقبل الملك عليه على قدر عنايته وكذلك الصلاة اذا دخل العبد فيها ولهى عنها لا تقبل منه واعلم ان مثل الصلاة كمثل وليمة اتخذها ملك وهيأ فيها ألوانا من الاطعمة والاشربة لكل لون لذة وفى كل لون منفعة ودعا الناس اليها فكذلك الصلاة دعاهم اليها وهيأ لهم فيها أفعالا مختلفة وأذكارا متنوعة وتعبدهم بها ليلذذهم بكل لون من العبودية فالافعال كالاطعمة والاذكار كالاشربة وقد قيل ان فى الصلاة اثنى عشرة ألف

خصلة ثم جمعت هذه الاثنتا عشرة ألفا في اثنتي عشرة خصلة فمن أراد أن يصلي فلابد أن يتعاهد هذه الاثنتي عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول في الصلاة وستة فيها أولها العلم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمل قليل في علم خير من عمل كثير في جهل والثاني الوضوء لقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بطهور والثالث اللباس لقوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد يعني البسوا ثيابكم عند كل صلاة والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعني فرضا مؤقتا والخامس استقبال القبلة لقوله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعني نحوه والسادس النية لقوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى والسابع التكبير لقوله صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والثامن القيام لقوله عز وجل وقوموا لله قانتين يعني صلوا قائمين والتاسع الفاتحة لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن والعاشر الركوع لقوله عز وجل واركعوا والحادي عشر السجود لقوله عز وجل واسجدوا والثاني عشر القعود لقوله صلى الله عليه وسلم إذا رفع الرجل رأسه من آخر السجدة وقعد قدر التشهد فقد تمت صلاته فإذا وجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاج إلى الختم وهو الإخلاص لتتم هذه الأشياء لأن الله تعالى يقول فاعبدوا الله مخلصا له الدين فأما العلم فعلى ثلاثة أوجه أولها أن يعرف الفريضة من السنة والثاني أن يعرف ما في الوضوء من الفريضة والسنة أيضا فإن ذلك من تمام الصلاة والثالث أن يعرف كيد الشيطان فيأخذ في محاربته بالجهد وأما الوضوء فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تطهر قلبك من الغل والحسد والغش والثاني أن تطهر البدن من الذنوب والثالث أن تغسل الأعضاء غسلا سابغا بغير إسراف في الماء وأما اللباس فتمامه بثلاثة أشياء أولها أن يكون أخذه من الحلال والثاني أن يكون طاهرا من النجاسات والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء أولها أن يكون نظرك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت والثاني أن يكون سمعك إلى الأذان والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت وأما استقبال القبلة فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تستقبل القبلة بوجهك والثاني أن تقبل على الله بقلبك والثالث أن تكون خاشعا ذليلا وأما النية فتمامها في ثلاثة أشياء أولها أن تعلم أي صلاة تصلي والثاني أن تعلم أنك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيبة والثالث أن تعلم أنه يعلم ما في قلبك فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا وأما التكبير فتمامه في ثلاثة أشياء أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزما والثاني أن ترفع يديك حذاء أذنيك والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء أولها أن تجعل نظرك في موضع سجودك والثاني أن تجعل قلبك إلى الله والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيل بغير لحن والثاني أن تقرأ بالتفكر وتتعاهد معانيها والثالث أن تعمل بما تقرأ وأما تمام الركوع ففي ثلاثة أشياء أولها أن تبسط ظهرك ولا تنكسه ولا ترفعه والثاني أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك والثالث أن تطمئن راكعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقار وأما تمام السجود ففي ثلاثة أشياء أولها أن تضع يديك حذاء أذنيك والثاني أن لا تبسط ذراعيك والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم وأما تمام الجلوس ففي ثلاثة أشياء أولها أن تقعد على رجلك اليسرى وتنصب اليمنى نصبا والثاني أن تتشهد بالتعظيم وتدعو لنفسك وللمؤمنين والثالث أن تسلم على التمام وأما تمام

السلام وان يكون مع النية الصادقة من قلبك ان سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن مسكينك وأما تمام الاخلاص ففي ثلاثة أشياء أولها أن تطلب بصلاتك رضا الله تعالى ولا تطلب رضا الناس والثاني أن ترى التوفيق من الله تعالى والثالث أن تحفظها حتى تذهب بها يوم القيامة لان الله تعالى قال من جاء بالحسنة ولم يقل من عمل بالحسنة

﴿الباب الرابع والستون في بيان أهوال القيامة﴾

روى ان عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم اما أن يخف واما أن يثقل وعند تطاير الصحف اما أن يعطى كتابه بيمينه واما أن يعطاه بشماله وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويقول وكلت بثلاثة وكلت بمن دعا مع الله الها آخر وبكل جبار عنيد وبكل من لا يؤمن بيوم الحساب فيطوى عليهم حتى يرمي بهم في غمرات جهنم ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف وكالريح العاصف الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال قلت يارسول الله وما الصور قال قرن من نور قلت يارسول الله كيف هو قال عظيم الدارة والذي بعثني بالحق نبيا لعظم دارته كعرض السماء والارض ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة للفزع ونفخة للصعق ونفخة للبعث فتخرج الارواح كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فتدخل في الاجساد من الخياشم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض وفي خبر آخر اذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل واسرافيل فينزلون الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعهم البراق وحلل من الجنة فتنشق عنه الارض فينظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل فيقول يا جبريل ماهذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة فيقول يا جبريل مافعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فانك أول من تنشق عنه الارض وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يامعشر الجن والانس اني نصحت لكم فانما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه (وذكر عن يحيى بن معاذ الرازي) انه قرئ في مجلسه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا أي ركبانا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يعني مشاة عطاشا فقال أيها الناس مهلا مهلا غدا تحشرون الى الموقف حشرا وتأتون من الاطراف فوجا فوجا وتقفون بين يدي الله فردا فردا وتسئلون عما فعلتم حرفا حرفا وتفاد الاولياء الى الرحمن وفدا وفدا ويرد العاصون الى عذاب الله وردا وردا ويدخلون جهنم جرا جرا احوالي أمامكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الراجفة يوم الآزفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المسابقة يوم الصيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم النشور يوم ينظر المرء ماقدمت يداه يوم التغابن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال مقاتل بن سليمان تقف الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون ومائة سنة في الظلمة متحيرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عند ربهم يختصمون وان يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضي على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة وقال صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة أشياء

عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكن نبي قط إلا كانت له دعوة مستجابة فجعلها في الدنيا وإني خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة اللهم شفعه فينا بجاهه عندك صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

﴿الباب الخامس والستون في صفة جهنم والنيران﴾

لا بأس بذكر ذلك وإن تقدم التنبيه على بعضه تتميما للفائدة لعل تكرر المواعظ ينفع القلوب الغافلة الفاسدة لا سيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هول جهنم وأحوال القيامة في كتابه في غير موضع عما يقع في قلوب العاقلين أعظم موقع تنبيها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى أما صفة جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه فقد روي في الحديث أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل في كل جبل سبعون ألف شعبة من نار في كل شعبة سبعون ألف شق من نار في كل شق سبعون ألف واد من نار في كل واد سبعون ألف قصر من نار في كل قصر سبعون ألف بيت من نار في كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب لكل عقرب سبعون ألف ذنب لكل ذنب سبعون ألف فقار في كل فقار سبعون ألف قلة من سم فإذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وسرادق آخر عن يسارهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في عظم خزنة جهنم المشار إليهم بقوله تعالى غلاظ شداد كل ملك ما بين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذي في يده جبلا لصار دكا فيدفع بكل ضربة سبعين ألفا في قعر جهنم وأما قوله تعالى عليها تسعة عشر فالمراد بهم رؤساء الزبانية وإلا فملائكة النار لا يعلم عددهم إلا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن سعة جهنم فقال والله ما أدري ما سعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعني سبعين سنة وإنها تجري فيها أودية القيح والدم وفي حديث الترمذي أن كثافة كل سرادق من سرادقات النار أي كثافة جداره مسيرة أربعين سنة وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من جر جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وقال صلى الله عليه وسلم لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذي عليه وروى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار الآن حين انتهى إلى قعرها والوجبة هي الهدة وهي صوت وقع الثقيل (وكان عمر بن الخطاب) يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد وإن مقامعها من حديد وكان ابن عباس يقول إن النار لتلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فهل للنار عينان فقال نعم أما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا

قيل يارسول الله ولهما عينان قال أما سمعتم قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد الحديث ويؤيده حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به ويقول انى وكلت اليوم عن جعل مع الله الها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه (وأما صفة الميزان) فقد ورد فى الحديث ان كفة الحسنات من نور وكفة السيآت من ظلام وروى الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكفة الحسنات عن يمينه وكفة السيآت عن يساره فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيآت وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول توزن الحسنات والسيآت فى ميزان له كفتان ولسان وكان يقول اذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فيزنها يوم القيامة

الباب السادس والستون فى بيان ذم الكبر والعجب

اعلم أرشدنى الله واياك لخير الدنيا والآخرة ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصح وقبول التأديب ولذلك قالوا العلم يضيع بين الحياء والكبر العلم حرب المتعالى كما أن السيل حرب للمكان العالى قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه وقال الحكماء لا يدوم الملك مع الكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا وقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول ما به بى يعنى أتكبر عليه وكان ابن عوانة من أقبح الناس كبرا روى انه قال لغلامه اسقنى ماء فقال نعم فقال انما يقول نعم من يقدر أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته ويقال فلان وضع نفسه فى درجة لو سقط منها لتكسر (قال الجاحظ) المشهور بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن عدى وأما الا كاسرة فكانوا لا يعدون الناس الا عبيدا وأنفسهم الا أربابا وقيل لرجل من بنى عبد الدار ألا تأتى الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفى وقيل للحجاج بن أرطاة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يزاحمنى البقالون وقيل أتى وائل بن حجر الى النبى صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها له فخرج معه معاوية فى هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته فأحرقه حر الشمس فقال له أردفنى خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فأعطنى نعليك قال ما بخل يمنعنى يا ابن أبى سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقيال اليمن انك لبست نعلى ولكن امش فى ظل ناقتى فحسبك بها شرفا وقيل انه لحق زمن معاوية فدخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه وقال المسرور بن هند لرجل أتعرفنى قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا لمن لم يعرف القمر وفى مثله يقول الشاعر

قولا لاحمق يلوى التيه أخدعه * لو كنت تعلم مافى التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر الا كل وضيع ولا يتواضع الا كل رفيع وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال انى آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن

الشرك والكبر وآمرك بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى كان لا إله إلا الله أرجح منهما ولو أن السموات والأرض كانتا في حلقة ووضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما وآمرك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يمت جبارا وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه مر في السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسي وفي تفسير القرطبي في قوله تبارك وتعالى ولا يضربن بأرجلهن إن فعلته تبرجا وتعرضا للرجال حرم وكذا من ضرب بنعله من الرجال تجبرا حرم لأن العجب كبيرة

﴿الباب السابع والستون في الإحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم﴾

أخرج البخاري أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما ومسلم كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبزار من كفل يتيما له ذو قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين وضم أصبعيه ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر المجاهد في سبيل الله صائما قائما وابن ماجه من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله وكنت أنا وهو في الجنة أخوين كما أن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى والترمذي وصححه من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر له وفي رواية سندها حسن حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة وابن ماجه خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه وأبو يعلى بسند حسن أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول ما لك ومن أنت تقول أنا امرأة قعدت على أيتام لي والطبراني بسند رواته ثقات إلا واحدا ومع ذلك ليس بالمتروك والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كانت له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين الحديث وأخرج جماعة وصححه الحاكم أن الله تعالى قال ليعقوب إن سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل إخوة يوسف به ما فعلوا أنه أتاه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يحب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل والشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى وأحسبه قال وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر وابن ماجه الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار (قال بعض السلف) كنت في بدء أمري سكيرا مكبا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذوني أخذا مزعجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضني فقال دعوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا فإذا النداء خلوا عنه فقد وهبناه ما كان منه بإحسانه إليه فاستيقظت وبالغت في إكرام اليتامى من يومئذ وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتد بهن الفقر إلى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلدة مهجور وتركتهن أمهن فيه وخرجت تحتال لهن في القوت فمرت بكبير

البلد وهو صلى الله عليه وسلم فشرحت له حالها فأمر بصدقها وقال لابد أن تقيمي عندي البينة بذلك فقالت أنا غريبة
وأعرض عنها ثم مرت بمجوسي فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها إلى داره وبالغ
في إكرامهن فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة قد قامت والنبي صلى الله عليه وسلم معقودا
على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال يارسول الله لمن هذا القصر قال لرجل مسلم قال أنا مسلم موحد
قال صلى الله عليه وسلم أقم عندي البينة بذلك فتحير فقص له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فانتبه الرجل
في غاية الحزن والكآبة فبادر ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار المجوسي فطلبهن منه فأبى وقال
قد لحقني من بركاتهن فقال خذ ألف دينار وسلمهن إلي فأبى فأراد أن يكرهه فقال الذي تريده أنا أحق به
والقصر الذي رأيته في النوم خلق لي أتفخر علي بإسلامك والله ما نمت أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على
يد العلوية ورأيت مثل ما رأيت وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم العلوية وبناتها عندك قلت نعم
يارسول الله قال القصر لك ولأهل دارك فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى

الباب الثامن والستون في أكل الحرام

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية واختلفوا في المراد به فقيل الربا
والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وقال ابن عباس هو
ما يؤخذ من الإنسان بغير عوض وعليه قيل لما نزلت الآية تحرجوا من أن يأكلوا عند أحد شيئا حتى
نزلت آية النور ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم إلى آخرها وقيل هو العقود
الفاسدة والوجه قول ابن مسعود إنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة انتهى وذلك لأن الأكل
بالباطل يشمل كل مأخوذ بغير حق سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب
كالمأخوذ بالقمار والملاهي وسيأتي ذلك كله أو على جهة المكر والخديعة كالمأخوذ بعقد فاسد ويؤيد
ما ذكرته قول بعضهم الآية تشمل أكل الإنسان مال نفسه بالباطل بأن ينفقه في محرم ومال غيره به
كالأمثلة المذكورة وقوله تعالى إلا أن تكون تجارة استثناء منقطع لأن التجارة ليست من جنس الباطل
بأي معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله والتجارة وإن اختصت بعقود المعاوضات
إلا أن نحو القرض والهبة ملحق بها بأدلة أخرى وقوله تعالى عن تراض منكم أي طيب نفس على الوجه
المشروع وتخصيص الأكل فيها بالذكر ليس للتقييد به لكونه أغلب وجوه الانتفاعات على حد إن الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وأدلة هذا المبحث والتغليظات الواردة فيه من
السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك والطبراني بإسناد حسن طلب الحلال واجب على كل
مسلم والطبراني والبيهقي طلب الحلال فريضة بعد الفرائض والترمذي وقال حسن صحيح غريب
والحاكم وصححه من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قالوا يارسول الله إن هذا في
أمتك اليوم كثير قال وسيكون في قرون بعدي وأحمد وغيره بإسناد حسن أربع إذا كن فيك

فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلق وعفة في طعمة والطبراني طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والطبراني يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبزار وفيه نكارة انه لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة له من أصاب مالا من حرام فلبس جلبابا يعني قميصا لم تقبل صلاته حتى ينحي ذلك الجلباب عنه ان الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل عمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صمتا ان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم سمعته يقوله والبيهقي من اشترى سرقة وهو يعلم انها سرقة فقد اشترك في عارها واثمها قال الحافظ المنذري في اسناده احتمال للتحسين ويشبه أن يكون موقوفا وأحمد بسند جيد والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما والحاكم من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان اصره عليه والطبراني من كسب مالا حراما فاعتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك اصرا عليه وأحمد وغيره بسند حسنه بعضهم ان الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا لمن يحب ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم أو لا يسلم عبد حتى يسلم أو يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق منه فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث والترمذي وقال حسن صحيح غريب سئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق والترمذي وصححه ما تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل فيه والبيهقي الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفقه في حقه أثابه الله عليه وأورده جنته ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفقه في غير حقه أورده الله دار الهوان ورب متخوض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة يقول الله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا وابن حبان في صحيحه لا يدخل الجنة لحم ودم نبتا من سحت والنار أولى به والترمذي لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به والسحت بضم فسكون أوضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفي رواية بسند حسن لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام

﴿الباب التاسع والستون في النهي عن الربا﴾

الآيات في النهي عن الربا كثيرة ومن الاحاديث ما رواه البخاري وأبو داود لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين وروى أحمد وأبو يعلى وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال آكل

الربا وموكله وشاهداه وكاتبه اذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوى الصدقة والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم والحاكم وصححه أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها مدمن الخمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين الربا ثلاث وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل امه والبزار بسند رواته رواة الصحيح الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك والبيهقي الربا سبعون بابا أدناها الذي يقع على أمه والطبراني في الكبير عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها في الاسلام وفي سنده انقطاع وروى ابن أبي الدنيا والبغوي وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا الموقوف في حكم المرفوع لان كون الدرهم أعظم وزرا من هذا العدد المخصوص من الزنا لا يدرك الا بوحي فكأنه سمعه منه صلى الله عليه وسلم ولفظ الموقوف في أحد طرقه قال عبد الله الربا اثنان وسبعون حوبا أي بضم المهملة وبفتحها اثما أصغرها حوبا كمن أتى أمه في الاسلام ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية قال ويأذن الله للبر والفاجر بالقيام يوم القيامة الا آكل الربا فانه لا يقوم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وأحمد باسناد جيد عن كعب الاحبار قال لان أزني ثلاثا وثلاثين زنية أحب الي من أن آكل درهما ربا يعلم الله اني أكلته حين أكلته ربا وأحمد بسند صحيح والطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية وابن أبي الدنيا والبيهقي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم والطبراني في الصغير والاوسط من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن أكل درهما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به والبيهقي ان الربا نيف وسبعون بابا أهون بابا منه مثل من أتى أمه في الاسلام ودرهم من ربا أشد من خمس وثلاثين زنية الحديث والطبراني في الاوسط من رواية عمرو بن راشد وقد وثق الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل اتيان الرجل أمه وان أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه وابن ماجه والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا أيسرها أن ينكح الرجل أمه والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تشترى الثمرة حتى تطعم وقال اذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأبو يعلى باسناد جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه ذكر حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ما ظهر في قوم الزنا والربا الا أحلوا بأنفسهم عذاب الله وأحمد باسناد فيه نظر ما من قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب والسنة العام المقحط نزل فيه غيث أم لا وأحمد في حديث طويل وابن ماجه مختصرا والاصبهاني رأيت ليلة أسري بي لما انتهينا الى السماء السابعة فنظرت فوقي فاذا أنا برعد وبرق وصواعق قال فأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء أكلة الربا والاصبهاني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بي الى السماء نظرت في سماء الدنيا فاذا رجال بطونهم كأمثال البيوت العظام قد مالت بطونهم وهم منضدون على سابلة آل فرعون

موقوفون على النار كل غداة وعشي يقولون ربنا لا تقم الساعة أبداً قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء
أكلة الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال الأصبهاني قوله منضدون
أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسابلة المارة أي يطؤهم آل فرعون الذين يعرضون على
النار كل غداة وعشي والطبراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر والطبراني بسند
لا بأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في سوق الصيارفة
فقال يا معشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا يا أبا محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للصيارفة أبشروا بالنار والطبراني إياك والذنوب التي لا تغفر الغلول فمن غل شيئاً أتي به يوم القيامة
وأكل الربا فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنوناً يتخبط ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الذين يأكلون الربا
لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس والأصبهاني يأتي آكل الربا يوم القيامة مختبلاً
أي مجنوناً يجر شقيه ثم قرأ لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وابن ماجه والحاكم
وصححه ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة والحاكم وصححه أيضاً الربا وإن كثر فإن عاقبته
إلى قل وأبو داود وابن ماجه كلاهما عن الحسن عن أبي هريرة واختلف في سماعه منه والجمهور على عدمه
ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا آكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره وعبد الله بن أحمد
في زوائد المسند والذي نفسي بيده ليبيتن أناس من أمتي على أشر وبطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير
باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير وأحمد مختصراً
والبيهقي واللفظ له يبيت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون قد مسخوا قردة وخنازير
وليصيبنهم خسف وقذف حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة ببني فلان وخسف الليلة بدار فلان
ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل منها وعلى دور بشربهم الخمر
ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم وخصلة نسيها راويه والقينات جمع
قينة وهي المغنية

الباب السبعون في حقوق العبد

هي أن تسلم عليه إذا لقيته وتجيبه إذا دعاك وتشمته إذا عطس وتعوده إذا مرض وتشهد جنازته إذا مات
وتبر قسمه إذا أقسم عليك وتنصح له إذا استنصحك وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك وتحب له ما تحب
لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ورد جميع ذلك في أخبار وآثار وقد روى أنس رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أربع من حق المسلمين عليك أن تعين محسنهم وأن تستغفر لمذنبهم
وأن تدعو لمدبرهم وأن تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى رحماء بينهم قال
يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال
اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهده وتب
عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن
بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا
اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى أبو موسى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ومنها أن لا يؤذي أحداً من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه

وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدقت بها على نفسك وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المؤمن قال من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يارسول الله ما الاسلام قال أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادي يافلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذي المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين وقال أبو هريرة رضي الله عنه يارسول الله علمني شيأ أنتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من زحزح عن طريق المسلمين شيأ يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يروع مسلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره أذى المؤمنين وقال الربيع بن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم ان تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن ابن أبي أوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن أحمد من نم لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه قال أبو أيوب الانصاري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقد قال صلى الله عليه وسلم من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة قال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الدارين قالت عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من أحد تواضع لله الا رفعه الله

﴿الباب الحادي والستون في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد﴾

قال الله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم الآية قال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعو اليه ولا يعمل بكتاب الله فكأنه يعبد هواه وقال تعالى ولا تتبع أهواءهم وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولذلك استعاذ صلى الله عليه وسلم منه بقوله اللهم اني أعوذ بك من هوى مطاع وشح متبع وقال ثلاث مهلكات هوى مطاع وشح متبع واعجاب المرء بنفسه وذلك لان كل معصية سببها هوى النفس فهو يقود

الى النار أعاذنا الله منه قال بعض العارفين اذا بدهك أمران لا تدرى فى أيهما الصواب فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه وفى هذا المعنى قال الشافعى رضى الله عنه

اذا حار أمرك فى معنيين * ولم تدر حيث الخطا والصواب
فخالف هواك فان الهوى * يقود النفوس الى ما يعاب

وقال العباس اذا اشتبه عليك رأيان فدع أحبهما اليك وخذ أثقلهما عليك وأصله أن الامر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتأتى معونته فيسرع المرء اليه وتحرص النفس عليه والامر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطئ معونته فتتكاسل النفس عنه وتتكره التعب به روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اقدعوا هذه الانفس فانها طليعة تنزع بكم الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مرئ وان الباطل خفيف وبئ وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة ولذة ساعة أورثت حزنا طويلا وقال لقمان لابنه يا بنى أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوة فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة فى القلب كمون النار فى الحجر ان قدح أورى وان ترك توارى قال بعضهم

اذا ما أجبت النفس فى كل دعوة * دعتك الى الامر القبيح المحرم

(وقال آخر)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى كل ما فيه عليك مقال

(وقال غيره)

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى * طرق الرشاد اذا اتبعت هواك

وقال

اذا شئت اتيان المحامد كلها * ونيل الذى ترجوه من رحمة الرب
فخالف هوى النفس المسيئة انه * لأعدى وأردى من هوى الحب
فما استحقت الهوى غير أنى * هوى الحب مهما عف بعد اعن الذنب
وخل المعاصى فى هوى النفس فاعتمد * خلاف الذى تهواه ان كنت ذا لب

وقال

امارة العقل مكسوف بطوع هوى * وعقل عاصى الهوى يزداد تنويرا

(وقال الفضل بن العباس)

لقد نزع الايام من كان جاهلا * ويردى الهوى ذا الرأى وهو لبيب
وقد يحمد الناس الفتى وهو مخطئ * ويعذل فى الاحسان وهو مصيب

وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله العقل وقال له أقبل فاقبل وقال له أدبر فادبر فقال وعزتى وجلالى لا ركبنك الا فى أحب الخلق الى وخلق الحمق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى لا ركبنك الا فى أبغض الخلق الى رواه الترمذى ولله در من قال

وقد أصاب رأيه عين الصواب * من استشار عقله فى كل باب
وقدرأى ان الهوى مهما يجب * يدعو الى سوء العواقب والعقاب

(وأنشد آخر)

اذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى * فلا تسعد النفس المطيعة للهوى
وخالف هواها من معاصى شهواتها * واياك أن تحمل عن ذل أو غوى

ودعها وماتدعواليه فانها * لأمارة بالسوء من هم أومدى
لعلك أن تنجو من النار انها * لقاطعة الامعاء نزاعة الشوى

ومن مشؤم الهوى من كب دميم يسير بك فى ظلمات العمى ومرتع وخيم يقعدك فى مواطن المحن فلا تحملك شهوة النفس على ركوب الندامات والقعود فى مواطن الخطيئات قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها وأنشد

تجرد من الدنيا فانك انما * سقطت الى الدنيا وأنت مجرد

الدنيا يوم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن فى أضغاث أحلام من نظر بعين الهوى حار ومن حكم على الهوى جار ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية * أوصى بعض الحكماء رجلا فقال آمرك بمجاهدة هواك فان الهوى مفتاح السيآت وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها هوى يمثل لك الاثم فى صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم اذا تناظرت لديك الا بحزم لا يشوبه وهن وصدق لا يطمع فيه تكذيب ومضاء لا يقاربه التثبط وصبر لا يغتاله جزع ونية لا يتقسمها التضييع اللهم اجعل عقولنا غالبة على هوانا ولا تذقنا مرارة هوانا ولا تشغلنا بدنيانا عن أخرانا واجعلنا اذا كربنا لك شاكرين لنعمتك بجاه نبيك محمد سيدنا ومولانا صلى الله عليه وسلم والحمد لله على ما أولانا * قال صلى الله عليه وسلم خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وقال صلى الله عليه وسلم من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله اذا خلا لم يعبأ الله بشئ من عمله قال ابراهيم بن أدهم الزهد ثلاث مقامات فزهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك الشبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال وهذا تفسير حسن قال ابن المبارك الزهد اخفاء الزهد اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وما أحسن قول القائل

ان وجدت فلا تظنن غيره * أن التورع عند هذا الدرهم
فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن هناك تقوى المسلم

وليس الزاهد من زهد فى الدنيا وقد أعرضت عنه وانما الزاهد من أقبلت عليه فزوى عنها وجهه وآثر الفرار منها كما قال أبو تمام

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * بعصفرها الدنيا فليس بزاهد

وقال بعض الحكماء ما لنا لا نزهد فى الدنيا وعمرها أمد وخيرها نكد وصفوها كدر وأمانها غرر ان أقبلت تسحى وان أدبرت تردى قال

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها * كأنما هى فى تصريفها حلم
صفاؤها كدر سراؤها ضرر * أمانها غرر أنوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم * لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد صاحبها * لو كان يملك ما قد صمنت ارم
فخل عنها ولا تركن لزهرتها * فانها نعم فى طيها نقم
واعمل لدار نعيم لا نفاد لها * ولا يخاف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ لتكن نظرتك الى الدنيا اعتبارا ورفضك لها اختيارا وسعيك فيها اضطرارا وطلبك الآخرة ابتدارا

الباب الثاني والسبعون في صفة الجنة ومراتب أهلها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها وهي النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها وسرورها فإن من
بعد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر
الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء
إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم فتفكر في أهل الجنة وفي
وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ
الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة
بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهن الياقوت
والمرجان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل
أعطافها سبعون ألفا من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار متوجات
بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في
الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم
وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ويطوف عليهم خدام وولدان
كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر
في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم
نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما
اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون
ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبنا وخمرا وعسلا وماء غير آسن أراضيها من فضة
وحصباؤها مرجان وترابها مسك أذفر ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على
كثبان الكافور ويؤتون بأكواب أي أكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من
الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب وكوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه
برقته وحمرته لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي ضياء وجهه
الشمس في إشراقها ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه فيا عجبا
لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين
التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها والله لو لم يكن فيها إلا السلامة
الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديرا بأن يهجر الدنيا
بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور
ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون
وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف
هذه النعم يترددون ومن زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد
يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا
فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلكم الجنة
أورثتموها بما كنتم تعملون ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان

الله تعالى بيان واقرأ من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الى آخر سورة الرحمن واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وان أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها وتأمل أولا (عدد الجنان) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ثم انظر الى أبواب الجنة فانها كثيرة بحسب أصول الطاعات كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصى قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق زوجين من ماله فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد فقال أبو بكر رضى الله عنه والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى وهل يدعى أحد منها كلها قال نعم وأرجو أن تكون منهم وعن عاصم بن ضمرة عن على كرم الله وجهه انه ذكر النار فعظم أمرها ذكرا لا أحفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما فى بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تتغير أشعارهم بعدها أبدا ولا تشعث رؤسهم كأنما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا قال فينطلق غلام من أولئك الولدان الى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى به فى الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو بأثرى فيستخفها الفرح حتى تقوم الى أسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى أساس بنيانه فاذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر الى سقفه فاذا هو مثل البرق ولولا أن الله تعالى أقدره لألم أن يذهب بصره ثم يطأطئ رأسه فاذا أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة ثم اتكأ فقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ثم ينادى مناد تحيون فلا تموتون أبدا وتقيمون فلا تظعنون أبدا وتصحون فلا تمرضون أبدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك * ثم تأمل الآن فى غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وكما أن بين الناس فى الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة تفاوتا ظاهرا فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستقر فى الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها فقد قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى

نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال أيضا ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك بأبينا أنت وأمنا قال ان في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يارسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يارسول الله ومن يطيق ذلك قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه وسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون دارا من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتا من زمرد أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع

*(الباب الثالث والسبعون في الصبر والرضا والقناعة

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي الحديث ان الله تجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ولا يجوز أن ينكشف عن حقيقته اذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه فانما سألوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا الا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال الله تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر أي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد *وأما فضله من الاخبار فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب

الكعبة وفي خبر آخر أنه قال حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وفي الخبر طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل وقال تعالى إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه وقال أيضا إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاؤوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما هما فيقولون كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا وفي أخبار موسى عليه السلام أن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام إلهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم (وأما فضل الصبر) فقد ذكر في القرآن في نيف وتسعين موضعا وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول ﴿وأما الأخبار﴾ فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الإيمان وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم الآية وروى جابر أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الإيمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة معناه معظم الحج عرفة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأخبار في هذا لا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم عز من قنع وذل من طمع وقال صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا

﴿الباب الرابع والسبعون في فضل التوكل﴾

في الآيات قوله تعالى ان الله يحب المتوكلين وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه فن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رأيت الامم في الموسم ورأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا الى الصلاة ويقول هذا أمرني ربي عز وجل قال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى واكتوى وروى أنه لما قال جبريل لابراهيم عليهما السلام وقد رمي الى النار بالمنجنيق ألك حاجة قال أما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فأنزل الله تعالى وابراهيم الذي وفى وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فأقسمت على أمي لتسترقين فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ الى أحد غير الله تعالى وقيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتب الله لك وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد وقال ابراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني وقال هرم بن حيان لأويس القرني أين تأمرني أن أكون فأومأ الى الشام قال هرم كيف المعيشة قال أويس أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا نسأل الله تعالى حسن الادب

﴿الباب الخامس والسبعون في فضل المسجد﴾

قال الله عز وجل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وقال صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد وقال

صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم
الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل في بعض
الكتب إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور أن يكرم زائره وقال صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له
بالإيمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيرا ويروى
في الأثر أو الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعي كانوا
يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد
سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه وقال علي كرم
الله وجهه إذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم
السماء والأرض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الأرض أربعين صباحا وقال عطاء
الخراساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم
يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من
البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرفت
له الأرض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم

﴿الباب السادس والسبعون في الرياضة وفضل أهل الكرامة﴾

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه
فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في
عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق ﴿الأول﴾ أن
يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في
مجاهدته وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه
طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده ﴿الثاني﴾ أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا
فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وعيوبه الباطنة والظاهرة
ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله
امرأ أهدى إلي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه
فاستعفى فألح عليه فقال بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل قال
وهل بلغك غير هذا قال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو
منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه فكل من كان أوفر عقلا وأعلى منصبا كان أقل إعجابا
وأعظم اتهاما لنفسه إلا أن هذا أيضا قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك
الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا
أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط
الناس فقال وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا للعيوب بتنبيه

غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا الى أن أبغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفصحا عن ضعف الايمان فان الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بازالة العقرب وابعادها وقتلها وانما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوما فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب أخشى أن تدوم بعد الموت أبدا أو آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له وأنت أيضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب وأصل كل ذلك ضعف الايمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله ﴿الطريق الثالث﴾ أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم ﴿الطريق الرابع﴾ أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب (قيل) لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده (واعلم) أن ما ذكرناه ان تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما أن للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع منها محبة الشهوات وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين أن النفس عدو منازع يجب عليه مجاهدتها ويروى أن الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر

قال

قال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى اذا جاءتك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضا الا أن يغفر الله تعالى ويستر وقال سفيان الثوري ما عالجت شيأ أشد على من نفسي مرة لي ومرة علي وكان أبو عباس الموصلي يقول لنفسه يانفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين يانفس ألا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد نفسك بأسياف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الأذى واذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال أيضا أعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها مقهورا ممنوعا لا زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال أبو يحيى الوراق من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات وقال وهيب بن الورد ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل (ويروى) أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد أن ملك خزائن الارض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفا من عظماء مملكته سبحان من جعل الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وذلك جزاء المفسدين وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين (وقال الجنيد) أرقت ليلة فقمت الى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما أحس بي قال يا أبا القاسم الى الساعة فقلت ياسيدي من غير موعد فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال فمتى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها وأقبل على نفسه فقال اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه الا من الجنيد ها قد سمعتيه ثم انصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي اليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى متى أتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال متى أصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا

(الباب السابع والسبعون في الايمان والنفاق)

اعلم أن كمال الإيمان الذي هو التصديق بوحدانية الله تعالى وبما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم
زيادة الأعمال قال الله تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى أولئك
الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى لا يستوي
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقد قال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم
الإيمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال صلى الله عليه وسلم الإيمان بضع وسبعون بابا أدناها
إماطة الأذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق
والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه
مؤمن من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وفي بعض
الروايات وإذا عاهد غدر وفي حديث أبي سعيد الخدري القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر
فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل
النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي لفظ آخر
غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وفي الحديث الشرك أخفى في
أمتي من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات
وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم
أكثر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق
يضاد صدق الإيمان وكماله وهو خفي وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه فقد
قيل للحسن البصري يقولون أنه لا نفاق اليوم فقال يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق
وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا وسمع ابن عمر رضي الله
عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا
نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله
الله ذا لسانين في الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء
بوجه ويأتي هؤلاء بوجه وقيل للحسن إن قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم أني
بريء من النفاق أحب إلي من تلاع الأرض ذهبا وقال الحسن إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب
والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه إني أخاف أن أكون منافقا فقال
لو كنت منافقا ما خفت النفاق إن المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة
وفي رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم
كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود
فقالوا يا رسول الله هو هذا الرجل الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم أرى على وجهه سفعة من
الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت

بعسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه وتعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل في التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو أن انسانا دخل بستانا فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الامراء شيأ فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار والثاني يفضي بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين

(الباب الثامن والثمانون في النهي عن الغيبة والنميمة)

أما الغيبة فقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال عليه السلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو هريرة قال عليه السلام لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة أشد من الزنا فان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم وقال سليمان بن جابر أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيأ ولو أن تصب من دلوك في اناء المستقي وان تلقى أخاك ببشر حسن وان أدبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وقيل أوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم فقال لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائما فأذن لي لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من أهلي ظلتا صائمتين وانهما يستحييان أن يأتياك فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل

واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا
في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية انه لما أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يارسول الله انهما قد
ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال صلى الله عليه وسلم ائتوني بهما فجاءتا فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت
كذلك فقال ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احداهما الى
الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس وقال أنس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم
شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل
وأربى الربا عرض الرجل المسلم (وأما النميمة) فهي خصلة ذميمة قال الله تعالى هماز مشاء بنميم ثم قال عتل
بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث وأشار به الى أن كل من لم يكتم
الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد زنا استنباطا من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي
وقال تعالى ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى حمالة الحطب قيل انها كانت نمامة حمالة
للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة
نوح تخبر انه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات
والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا
الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان
الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة
المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشاع على
مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يشينه
بها يوم القيامة في النار وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس
لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ويقال ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وعزتي
وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكن مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام
ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان لم أفعل كذا وكذا
ثم لم يف به وروى كعب الاحبار أن بني اسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات
فما سقوا فأوحى الله تعالى اليه اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى
يارب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا قال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا جميعا
فسقوا ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك
الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الارض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى
منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل
منه فقال له الحكيم البهتان على البرئ أثقل من السموات والحق أوسع من الارض والقلب القانع أغنى
من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة الى القريب اذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر
أقسى من الحجر والنمام اذا بان أمره أذل من اليتيم وما أحسن قول الشاعر

من تم فى الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به احد * من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للود منه كيف يفنيه

﴿وقول الآخر﴾

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا * تأمن غوائل ذى وجهين كياد

(الباب التاسع والتسعون فى بيان عداوة الشيطان)

قال صلى الله عليه وسلم فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية وقال الحسن انما هما همان يجولان فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال جابر بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى يمر به اللصوص فان كان فيه شىء عالجوه والا مضوا وتركوه يعنى ان القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك سلط الله عليه الشيطان وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وهو اشارة الى أن من الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهبه الله عنى وفى الخبران للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب الا ذكر ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر فى القلب ذكر شىء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شىء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به يجوز أيضا أن يكون مجالا للشيطان وذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشىء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان يطوف عليهم فى أوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد فى معنى قول الله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على القلب فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان هو ذكر الله تعالى خنس وان نسى الله تعالى التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبى وجه من لا يفلح وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجرى من

ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى اخبارا عن ابليس لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وقال صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر أتدع أرضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال وتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة

(الباب الثمانون في بيان المحبة ومحاسبة النفس)

قال سفيان المحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دوام الذكر وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة وأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله احذر أن تذل لغير الله وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وأنشد الشبلي رحمه الله

يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم
يا رافع النوم عن جفوني * أنت بما مر بي عليم

(ولغيره)

عجبت لمن يقول ذكرت الفي * وهل أنسى فاذكر ما نسيت
أموت اذا ذكرتك ثم أحيا * ولولا حسن ظني ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا * فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت
فليت خياله نصب لعيني * فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال الدم منه فمات وقال ابراهيم بن أدهم الهي انك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في حب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل عن عيوبه فتاش (وأما محاسبة النفس) فقد أمر الله بها بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمستوص أنت فقال نعم قال اذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فان كان رشدا

وأمضه وان كان عيانا بتة عنه وفي الخبر ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه وقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى وأتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل و يقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت وأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندما ورجاء للعوض مما فاته وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وانما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الامر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال ان المؤمن يفجؤه الشيء يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني و بينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال و يفرط منه الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبدا ان شاء الله (وقال أنس بن مالك) سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني و بينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقين الله أو ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قال لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس وقال ميمون بن مهران التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال ابراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أرد الى الدنيا فأعمل صالحا قلت فأنت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب الى غيره رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله امرأ نظر في مكياله رحم الله امرأ نظر في ميزانه فما زال يقول حتى أبكاني وحكى صاحب للاحنف بن قيس قال كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء وكان يجيء الى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا

(الباب الحادي والثمانون في بيان تلبيس الحق بالباطل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في

قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون طمعاً لا خوف معه ان أحسن أحدهم قال يتقبل مني وان أساء قال يغفر لي فأخبر أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه ومثله أخبر عن النصارى اذ قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب أي هم علماء ويأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراماً كان أو حلالاً وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من أوله تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمناً بما فيه وترى الناس يهذونه هذاً يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرؤن شعراً من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص الا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفاً وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد سبحته انه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهذا أبداً يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين الذين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه فيا عجباً لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفاً على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفاً من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه الا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى أمر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله أن نكون من أهل الكفران وسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالاً على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى والله أعلم

(الباب الثاني والثمانون في فضل صلاة الجماعة)

قال صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم فقد ناساً في بعض الصلوات فقال لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف

الى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم وفى رواية أخرى ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعنى صلاة العشاء وقال عثمان رضى الله عنه مرفوعا من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة فى جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة الا وأنا فى المسجد وقال محمد بن واسع ما أشتهى من الدنيا الا ثلاثة اخوانا ان تعوجت قوّمونى وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمّ قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بى آنفا حتى أريت أن لى فضلا على غيرى لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعى مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه وقال حاتم الاصم فاتتنى الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو اسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد به خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله وانا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب الى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم ووجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة ووجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة ووجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان فى المسجد وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

(الباب الثالث والثمانون فى فضل صلاة الليل)

أما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل الآية وقوله تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هى قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس (ومن الاخبار) قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان وفى الخبر انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه وفى الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم وفى الصحيح عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان من الليل ساعة

لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه وفي رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوما شديدا الحر ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروي أنه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار أجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ويروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال علي بن أبي طالب شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام ليلة من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جواري فوعزتي وجلالي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح في وجهها الماء وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت في وجهه الماء وقال صلى الله عليه وسلم من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل قيل كان الامام البخاري رضي الله عنه كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين

اغتنم في الفراغ فضل ركوع * فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم * ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

الباب الرابع والثمانون في عقوبة علماء الدنيا

ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال من الأئمة المضلين وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة وقال عمر رضي الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله اني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وانما تضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا أنهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه

الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان العالم أوتي كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أولم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهي تشرب الماء ولاهي تترك الماء يخلص الى الزرع

﴿الباب الخامس والثمانون في فضل حسن الخلق﴾

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأتاه من قبل يمينه فقال يارسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم أتاه من ورائه فقال يارسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يارسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل عليه السلام أي الاعمال أفضل قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لاخير فيها هي من أهل النار وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما وقال عليه السلام حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل يارسول الله أي المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال أيضا صلى الله عليه وسلم سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الدعاء فيقول اللهم اني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله وعن اسامة بن شريك قال شهدت الاعاريب يسألون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما أعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلاة اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت وقيل فيم التجمل قال في لطف الكلام واظهار البشر والابتسام فمن لقي الناس بالاحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يجب عليهم حاسمه ويحمدا خاوه كما قال

اذا حويت خصال الخير أجمعها * فصلا وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرزه * والشكر من خلقه في السر والعلن

(الباب السادس والثمانون في الضحك والبكاء واللباس)

قال بعض المفسرين في قوله تعالى أفمن هذا الحديث أي القرآن تعجبون منه تكذيبا وتضحكون منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى ولا تبكون خوفا وانزجارا لما فيه من الوعيد وأنتم سامدون لاهون غافلون عما يطلب منكم قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الا أن يتبسم وفي لفظ فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم ضاحكا ولا متبسما حتى ذهب من الدنيا وعن ابن عمر رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فوقف وسلم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هادم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فاذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عظني قال يا موسى اياك واللجاجة ولا تمش بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطائين خطاياهم وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم كثرة الضحك تميت القلب وقال صلى الله عليه وسلم من ضحك لشبابه بكى لهرمه ومن ضحك لغناه بكى لفقره ومن ضحك لحياته بكى لموته وقال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن الحسن في قوله تعالى فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة جزاء بما كانوا يكسبون وقال أيضا يا عجبا من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت ومر رضي الله عنه بشاب يضحك فقال له يا بني هل جزت على الصراط قال لا قال هل تبين لك انك تصير الى الجنة قال لا قال ففيم الضحك فما رؤي الشاب ضاحكا بعد ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي ومدح الله تعالى أقواما بالبكاء فقال تعالى ويخرون للأذقان يبكون وعن الأوزاعي في قوله تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة أعين عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله تعالى ويقال ثلاثة أشياء تقسي القلب الضحك من غير عجب والأكل من غير جوع والكلام في غير حاجة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان له صلى الله عليه وسلم قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيأ قط كان أحسن

من يباصل على سواده وكان صلى الله عليه وسلم اذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى الناس واذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان اذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان فى ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا وكانت له صلى الله عليه وسلم عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته شئ غيره

(الباب السابع والثمانون فى فضل القرآن وفضل العلم والعلماء)

قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر من عظمة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يارسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء (وأما فضل العلم والعلماء) فالاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى فى شيئين ترك العلم وجمع المال وقال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة أى مبغضا فتهلك وقال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرياسة فقد عدم التوفيق والسياسة قال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وقال الشافعى رضى الله عنه من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقداره ومن تعلم الحديث قويت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم العربية رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه وفتق مراتق ذهنه وسره ما وجد من الزيادة فى نفسه وكانت له ولاية لما يعلم وافادة لما تعلم وقال صلى الله عليه وسلم اذا أرذل الله عبدا حظر عليه العلم وقال صلى الله عليه وسلم لا فقر أشد من الجهل

(الباب الثامن والثمانون فى فضل الصلاة والزكاة)

اعلم أن الله تعالى جعل الزكاة احدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الاعلام فقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله

الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الحديث وشدد الوعيد على المقصرين فيهما فقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وتقدم الكلام على ذلك مستوفى وقال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكاة ﴿فائدة﴾ يستحب أن يطلب لصدقته أتقياء الفقراء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة فان ذلك يربو به المال قال صلى الله عليه وسلم لاتأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي وذلك لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت غيرهم ولك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همة أحدهم فلان أرد همة واحد الى الله عز وجل أحب الي من أعطي ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ماسمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعونه وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال اني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم افضل وان يخص ذوي الحاجات لاسيما ذوي الارحام والاقارب فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم مالا يحصى من الاجر كما مر في بابه وان يخرج الصدقة سرا ليسلم من شؤم الرياء ومن ادلال المعطي في الملأ قال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وذكر في حديث السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أعطت يمينه نعم ان كان في اظهار الصدقة خير كأن كان يقتدي به غيره فلا بأس ان سلم من الرياء ويجتنب الامتنان كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فآفة المعروف المن بل يؤثر كتمانه ويستعمل نسيانه كما يجب على من صنع له معروف نشره ويتعين عليه شكره كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس وما أحسن قول القائل

يد المعروف غنم حيث كانت * تحملها كفور أو شكور
ففي شكر الشكور لها جزاء * وعند الله ما كفر الكفور

﴿الباب التاسع والثمانون في بر الوالدين وحقوق الاولاد﴾

لا يخفى انه اذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الارحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله وقد قال صلى الله عليه وسلم من أصبح مرضيا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحد فواحد وان ظلما وان ظلما ومن أصبح مسخطا لابويه أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسى فمثل ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال صلى الله عليه وسلم بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك (ويروى) ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام ياموسى انه من بر والديه وعقني

كتبته باراومن برني وعق والديه كتبته عاقا (وقيل) لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فأوحى الله اليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على أحد اذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله هل بقي على من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما وقال صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الاب وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الولد ضعفان وقال صلى الله عليه وسلم دعوة الوالدة أسرع اجابة قيل يارسول الله ولم ذاك قال هي أرحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يارسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا أعان ولده على بره أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين أدب فاذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فاذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك وشكا اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا اذ لم تكن له جارية وتعثر الحسن والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يارسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته وفي ذلك فوائد احداها القرب من الله تعالى فان العبد أقرب ما يكون من الله تعالى اذا كان ساجدا وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته وقال صلى الله عليه وسلم ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي الى الاحنف بن قيس فلما وصل اليه قال له يا أبا بحر ما تقول في الولد قال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد دخلت علي وأنا مملوء غضبا

وعيطاعلى يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث اليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب مقاسمة اياها على الشطر

الباب التسعون في حقوق الجوار والاحسان للمساكين

اعلم أن الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه أخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال النبي صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم أول خصمين يوم القيامة جاران وقال عليه السلام اذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته (ويروى) ان رجلا جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل اليه عليه السلام يشكو جاره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد متاعك فوالله لا أعود (وروى الزهري) ان رجلا أتى النبي عليه الصلاة والسلام فجعل يشكو جاره فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن ينادي على باب المسجد ألا ان أربعين دارا جار قال الزهري أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأومأ الى أربع جهات وقال عليه السلام اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه (واعلم) أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى أيضا فان الجار اذا كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني (وبلغ ابن المقفع) أن جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها * وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت هرا فقال أخشى أن يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسي (وجملة حق الجار) أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا يصب الماء في ميزابه ولا طرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا

يديم النظر الى جاريته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه هذا الى جملة الحقوق التي لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم أتدرون ما حق الجار ان استعان بك أعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك أقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان أصابه خير هنأته وان أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه واذا اشتريت فاكهة فأهد له فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت الشاة فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول في هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك وقال أبو ذر رضي الله عنه أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها

﴿الباب الحادي والتسعون في عقوبة شارب الخمر﴾

قد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات الاولى قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الآية فكان من المسلمين شارب وتارك الى أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ لحى بعير وشج بها رأس عبد الرحمن بن عوف ثم قعد ينوح على قتلى بدر فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه ورفع شيأ كان في يده فضربه به فقال أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الآية فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا ومن الاخبار المتفقة على تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي بعد عبادة الاوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال وقوله صلى الله عليه وسلم ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا الا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله عني خيرا فأنت الذي أوردتني هذا المورد فيقول له الآخر مثل ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الاساود شربة يتساقط منها لحم وجهه في الاناء قبل أن يشربها فاذا شربها يتساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ألا ان شاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء في اثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فان ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وان كل مسكر حرام وكل خمر حرام (ذكر ابن أبي الدنيا) انه مر بسكران وهو يبول في يده ويغسل به يده كهيئة المتوضي ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نورا والماء طهورا وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في حرارتك فقال ما أنا آخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي ولا أرضى ان أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا أم الخبائث

فانه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة فأرسلت اليه خادما انا ندعوك لشهادة فدخل وطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى اذا أفضى الى امرأة وضيئة جالسة وعندها غلام وباطية فيها خمر فقالت انا لم ندعك لشهادة ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام وتقع علي أو تشرب كاسا من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك فلما رأى انه لا بد له من ذلك قال اسقيني كاسا من الخمر فسقته فقال زيديني فلم يزل حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع ايمان وادمان الخمر في صدر رجل أبدا ليوشكن أحدهما يخرج صاحبه وروى أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم لما أهبط الى الارض قالت الملائكة اي رب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فأهبطا الى الارض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الاشراك قالا والله لا نشرك بالله أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت اليهما ومعها صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما من شيء أبيتماه علي الا فعلتماه حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا وروى عن أم سلمة رضي الله عنها قالت اشتكت بنت لي فنبذت لها في كوز فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلي قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له اني أداوي به ابنتي فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها وروى ان الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

الباب الثاني والتسعون في معراج النبي صلى الله عليه وسلم

روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا

بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد على السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بم أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال سألت ربي حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي

الباب الثالث والتسعون في فضائل الجمعة

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبران أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا

فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبرائيل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه اياه أوليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه الكريم وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة وفى الخبر ان لله عز وجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عز وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر

﴿الباب الرابع والسبعون فى حق الزوجة على الزوج﴾

حقوق الزوجات على الازواج كثيرة فمنها حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال فى تعظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال والصاحب بالجنب قيل هى المرأة وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله فى النساء فانهن عوان فى أيديكم يعنى أسراء أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال عليه السلام من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون (واعلم) أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امرأة عمر رضى الله عنه عمر فى الكلام فقال أتراجعينى يا لكعاء فقالت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروى أنه دفعت احداهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها أمها فقال عليه الصلاة والسلام دعيها فانهن يصنعن أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم فقالت بل تكلم أنت ولا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال

يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي
تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها إني لأعرف
غضبك من رضاك قالت وكيف تعرفه قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت
صدقت إنما أهجر اسمك ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي
الله عنها وكان يقول لها كنت لك كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذيني في
عائشة فإنه والله ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها وقال أنس رضي الله عنه كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة
والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن
وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابق عائشة في
العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر أنه كان صلى الله عليه
وسلم من أفكه الناس مع نسائه وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم
يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فأرسل
إليهم فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على
يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك وأقول اسكت مرتين
أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل
المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله وقال عليه السلام خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي
وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد
رجلا وقال لقمان رحمه الله ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا وفي
تفسير الخبر المروي إن الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وهو أحد
ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وقال عليه السلام
لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك (ووصفت) أعرابية زوجها وقد مات فقالت والله لقد كان ضحوكا إذا
ولج سكيتا إذا خرج آكلا ما وجد غير مسائل عما فقد ومنها أن لا يتبسط في الدعابة وحسن الخلق
والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي الاعتدال فيه ولا يدع
الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة بل مهما رأى ما يخالف
الشرع والمروءة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله
في النار وقال عمر رضي الله عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن
وقد قال عليه السلام تعس عبد الزوجة وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس
فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم
فليغيرن خلق الله إذ حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى
الزوج سيدا فقال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب فإذا انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس
المرأة على مثال نفسك إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وإن أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا
وإن كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها قال الشافعي رضي الله عنه ثلاثة إن أكرمتهم

أهانوك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك

﴿الباب الخامس والتسعون في حق الزوج على الزوجة﴾

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها في الأسفل فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات فاستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلت أين النساء قال شغلهن الأحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ومصبغات الثياب وقالت عائشة رضي الله عنها أتت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني فتاة أخطب وأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت أفلا أتزوج قال بلى تزوجي فإنه خير وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه ومن حقه أن لا تعطي شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وسلم أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للتستر ولذلك قال عليه السلام المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضا للمرأة عشر عورات فإذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق وخطبت

رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله مالي همة في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة ولكن ورثت مالا جزيلا من زوجي فأردت أن تنفقه على اخوانك وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقا الى الله عز وجل فقال حتى أستأذن استاذي فرجع الى أبي سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية لله هذا كلام الصديقين قال فتزوجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى أزواجك وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة * ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لها أن تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده فان أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر (ومن حقها) على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روي ان أسماء بنت خارجة الفزاري قالت لابنته عند التزوج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن لك عبدا لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا منك فاقربي منه وان نأى فابعدي عنه واحفظي أنفه وسمعه وعينيه فلا يشمن منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته

حذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبي والقلوب تقلب
فاني رأيت الحب في القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

(الباب السادس والتسعون في فضل الجهاد)

قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي ان لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقي الحاج وقال آخر لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد أفضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فأنزل الله عز وجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال قعدنا نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا لو نعلم أي الاعمال أفضل وأحب الى الله عز وجل عملناه فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الى آخرها فقرأها علينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان رجلا قال يارسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر فقال ومن يستطيع ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال مر رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله تعالى من قاتل في سبيل الله تعالى فواق ناقة وجبت له الجنة فاذا كان الصحابي الجليل لم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في العزلة مع اجتهاده في الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أرشده صلى الله عليه وسلم الى الجهاد فكيف يليق بما تركه مع قلة طاعاتنا وكثرة سيآتنا وتعاطينا ماجهل حله من الاقوات وفساد العزائم والنيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم عن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدري فقال أعدها علي يارسول الله فأعادها عليه ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وماهي يارسول الله قال الجهاد في سبيل الله

﴿الباب السابع والتسعون في مكر الشيطان﴾

قال رجل للحسن يا أباسعيد أينام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فاذا الاخلاص للمؤمن ممدنعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبني بذكر الله تعالى وأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة فانهم لا يهتدون اليها فيحرسونها الا أن الابواب المفتوحة الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الابواب الكثيرة والعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يهتدى به الى غوامض طرقه والافطرقه كثيرة وغامضة * قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا أن يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان الى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فأتوا بها اليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها

ولما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقارفتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فان سألوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس اليهم وألقى فى قلوبهم انه أحبلها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى خنقتها وأنا الذى ألقيت فى قلوب أهلها فأطعنى تنج وأخلصك منهم قال عماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك وروى ان ابليس سأل الامام الشافعى رضى الله عنه ماتقولك فيمن خلقنى كما اختار واستعملنى فيما اختار وبعد ذلك ان شاء أدخلنى الجنة وان شاء أدخلنى النار أعدل فى ذلك أم جار فنظر فى كلامه ثم قال ياهذا ان كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك وان كان خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاضمحل الى أن صار لاشئ ثم قال والله ياشافعى لقد أخرجت بمسئلتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية الى ديوان الزندقة وروى أيضا أن ابليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم عليهما السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك أى لان له تلبيسات فى الخير كما أن له تلبيسات فى الشر تتناهى وبها يهلك العباد والزهاد والأغبياء وأصناف الخلق الا من حفظه الله اللهم احفظنا من مكايده حتى نلقاك مهتدين

﴿الباب الثامن والتسعون فى بيان السماع﴾

حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه وقال الشافعى رحمه الله فى كتاب آداب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضى أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال قال الشافعى رضى الله عنه صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعى رحمه الله ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشئ من الملاهى ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة رضى الله عنه فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثورى وحماد وابراهيم والشعبى وغيرهم فهذا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى ونقل أبو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى باحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الايام المعدودات التى أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع الى زماننا هذا فأدركنا أبا مروان القاضى وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقطى وذو النون يسمعون فقال وكيف أنكر السماع وقد أجازه

وسمعه من هو خير مني فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ أنه قال فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الإخاء مع الوفاء ورأيت في بعض الكتب هذا المحكي بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر ابن داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما جدي أحمد بن منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لابن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أيحرم عليه قال أنا لم أقو لشيطان واحد فكيف أقوى لشيطانين قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكريه وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء وحكي عن ممشاد الدينوري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن وحكي عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق أو قال حق من حق أنا أشك فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم لا يتجاوزون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه باللغو وقال الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم هذا ما نقل من الأقاويل ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة

﴿الباب السابع والتسعون في النهي عن البدعة واتباع الهوى﴾

قال صلى الله عليه وسلم إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في

النار وقال صلى الله عليه وسلم من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فعلم من هذه الأحاديث أن كل ما خالف الكتاب والسنة والإجماع الأئمة فهو بدعة مردودة وقال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة وقال قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الآية اعلموا أن السبيل سبيل واحد جماعه الهدى ومصيره الجنة وأن إبليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها إلى النار وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات وقال بن عطية هذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة إلا أضاعت مثلها من السنة وقال صلى الله عليه وسلم ما تحت ظل السماء من إله يعبد أعظم عند الله من هوى يتبع وقال صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى إياكم والمحدثات فإن كل محدثة ضلالة وقال صلى الله عليه وسلم إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت شرته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت شرته إلى غير ذلك فقد هلك إني أخاف على أمتي من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر رواه الترمذي وحسنه في مواضع وصححه في أخرى والشرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة النشاط والهمة

(وصل في النهي عن آلة اللهو) روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه من لعب بنرد أو نرد شير فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه وروى أحمد وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم يصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي أي فلا تقبل له صلاة كما صرحت به رواية أخرى وأخرج البيهقي عن يحيى بن كثير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يلعبون بالنرد فقال قلوب لاهية وأيد عاملة وألسنة لاغية وأخرج الديلمي أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه أي وما شابه ذلك من كل لهو فلا تسلموا عليهم وإن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من الميسر القمار والضرب بالكعاب والصفير بالحمام ومر علي رضي الله عنه بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن يمس أحدكم جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتم وقال أيضا رضي الله عنه صاحب الشطرنج أكثر الناس كذبا يقول أحدهم قتلت وما قتل ومات وما مات وقال أبو موسى

الاشعري رضي الله عنه لا يلعب بالشطرنج الا خاطئ واعلم ان الملاهي اما حرام كعود وطنبور ومعزفة وطبل ومزمار وما ألهى بصوت مطرب اذا انفرد أو مكروه وهو ما ليس يدنيه الغناء طربا ولم يطرب منفردا كالصنج والقصب فيكره مع الغناء لا وحده أو مباح وهو ما خرج عن آلة الطرب الى انذار كالبوق وطبل الحرب أو الجمعة واعلان كالدف في النكاح

﴿الباب المتمم للمائة في فضائل رجب﴾

رجب مشتق من الترجيب وهو التعظيم ويقال له الاصب لان الرحمة تصب فيه على التائبين وتفيض أنوار القبول على العاملين ويقال له الاصم لانه لم يسمع فيه حس قتال وقيل رجب اسم نهر في الجنة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه الا من صام شهر رجب قال صلى الله عليه وسلم رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي وقال أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وباء فالراء رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله كان الله تعالى يقول اجعل جرم عبدي بين رحمتي وبري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم من صام السابع والعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهرا وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة وفيه أسري به صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ألا ان رجب شهر الله الاصم فمن صام من رجب يوما ايمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الاكبر قيل ربي الله الشهور أربعة ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى منها أربعة حرم فالاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب وحكي ان امرأة في بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثني عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف في شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها ان يدفن معها صوفها فلما ماتت كفنها في ثياب مرتفعة فرآها في منامه تقول له أنا عليك غير راضية لانك لم تعمل بوصيتي فانتبه فزعا وأخذ صوفها ليدفنه معها فنبش قبرها فلم يجدها فيه فتحير فسمع نداء أما علمت ان من أطاعنا في رجب لا نتركه فردا وحيدا وروي اذا كان ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى ملك الا ويستغفر لصوام رجب وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة سبعمائة سنة قال أنس رضي الله عنه صمت اذناي ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (لطيفة) الاشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب المنزلة أربعة وأعضاء الوضوء أربعة وأفضل التسبيح كلمات أربعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة آحاد وعشرات ومئات وألوف والاوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة وفصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والطبائع أربعة حرارة وبرودة ويبوسة ورطوبة وسلطان البدن أربعة صفراء وسوداء ودم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين (روى الديلمي) عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يسح الله الخير في أربع ليال سحا ليلة الاضحى وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب وروى الديلمي أيضا بسنده عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس ليال لا ترد فيهن الدعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين

﴿الباب الحادي بعد المائة في فضل شعبان المبارك﴾

سمي شعبان لأنه يتشعب منه خير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير روى عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان وفي النسائي من حديث اسامة رضي الله عنه قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال لرب العالمين وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما من شعبان وفي رواية كان يصوم شعبان كله ولمسلم كان يصوم شعبان الا قليلا فهذه الرواية مفسرة للاولى فالمراد بكله أغلبه قيل ان للملائكة في السماء ليلتي عيد كما ان للمسلمين في الارض يومي عيد فعيد الملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الاضحى ولذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة وذكر السبكي في تفسيره انها تكفر ذنوب السنة وليلة الجمعة تكفر ذنوب الاسبوع وليلة القدر تكفر ذنوب العمر أي احياء هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أيضا لذلك وليلة الحياة لما روى المنذري مرفوعا من أحيا الليالي العيد وليلة نصف شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الثالث عشر فأعطاه الثلثين وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع الا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالاصرار على المعصية وتسمى ليلة المغفرة أيضا لما روى الامام أحمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان الى عباده فيغفر لاهل الارض الا رجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن اسحق عن أنس بن مالك قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عائشة رضي الله عنها في حاجة فقلت لها اسرعي فاني تركت النبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنيس اجلس حتى أحدثك بحديث ليلة النصف من شعبان تلك الليلة كانت ليلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ودخل معي في لحافي فانتبهت من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب الى جاريته القبطية فخرجت فررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو يقول سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي وهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيما يرجى لكل عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقني قلبا تقيا نقيا من الشرك بريا لا كافرا ولا شقيا ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق لوجه سيدي أن يعفر ثم رفع رأسه فقلت بأبي أنت وأمي أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما تعلمين ان هذه الليلة ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب الا ستة نفر لا مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا مصر على زنا ولا مصارم ولا مصور ولا قتات وفي رواية مصور بدل مصرب وتسمى ليلة القسمة والتقدير لما روى عطاء بن يسار اذا كانت ليلة النصف من شعبان نسخ لملك الموت كل من يموت من شعبان الى شعبان وان العبد ليغرس الغرس وينكح الازواج ويبني البنيان وان اسمه قد نسخ في

الموتى

الموتى وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه

﴿الباب الثاني بعد المائة في فضل رمضان المعظم﴾

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم عن سعيد ابن جبير رضي الله عنه كان صوم من قبلنا من العتمة إلى الليلة القابلة كما كان في ابتداء الإسلام وقال جماعة من أهل العلم كان واجبا على النصارى فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم وبعض معايشهم فاجتمع رأي كبرائهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة أيام كفارة لما صنعوا ثم ان ملكا لهم اشتكى فجعل لله عليه إن برئ من وجعه أن يزيد في صومهم أسبوعا فبرئ فزاد فيه أسبوعا فلما مات ذلك وليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابهم موتان وهو موت البهائم فقال زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد وقيل ما من أمة إلا وفرض عليهم صيام رمضان إلا أنهم ضلوا عنه قال البغوي والصحيح أن رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهي الحجارة المحماة لأنهم كانوا يصومون في الحر الشديد لأن العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شدة الحر وقيل سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها وفرض في السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جاحد وجوبه وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يغلق منها باب في الشهر كله وأمر الله تعالى مناديا ينادي يا طالب الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه فلم يزل كذلك إلى انفجار الصبح ولله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزاد فيه في رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال يعطي الله هذا الثواب من يفطر صائما على مذقة لبن أو شربة ماء أو تمرة ومن أشبع صائما كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوكه فيه أعتقه الله من النار فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتتعوذون به من النار ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وناهيك بعبادة أضافها الباري تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله صلى الله عليه وسلم أعطيت أمتي خمس خصال في شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا وتصفد فيه مردة الشياطين ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يكف عنهم السوء والأذى

ويغفر لهم في آخر ليلة منه قيل يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفى أجره اذا قضى عمله

﴿الباب الثالث بعد المائة في فضل ليلة القدر﴾

روي عن ابن عباس رضي عنهما قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال يارب جعلت أمتي أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خير امن ألف شهر مدة حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله ولامته الى يوم القيامة فهي من خصائص هذه الامة ويقال اسم ذلك الرجل شمعون غزا العدو ألف شهر لم يجف لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطي من القوة والجسارة فضاقت قلوبهم منه فبعثوا رسولا الى امرأته وضمنوا لها طستا من ذهب ملوأ ذهبا ان هي قيدته حتى يحبسوه في بيتهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقته بحبل من ليف فلما انتبه حرك أعضاءه فقطع الحبل قطعا وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرب قوتك فلما أخبر الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء ابليس الى الكفار وأرشدهم الى أن تسأل المرأة زوجها أي شئ لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا اليها فسألته فقال ذوائبي وكان له ثمانية ذوائب طويلة تجر على الارض فلما نام قيدت رجليه بأربعة ويديه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به الى بيت مذبحهم مقدار أربعمائة ذراع علوه ومع اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكانوا كلهم ثمة فعين ليديه فسأل الله تعالى ان يقويه على فك وثاقه وعلى ان يحرك العمود ويهدمه عليهم مع جماعتهم فقواه الله فحرك فانفك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجاه منهم فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخبر قالوا يارسول الله هل ندرك نحن ثوابه فقال لا ادري ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى قال أبو هريرة رضي الله عنه الملائكة تنزل ليلة القدر في الارض أكثر من عدد الحصى فتفتح أبواب السما للتنزل كما ورد فتسطع الانوار ويحصل تجل عظيم وينكشف فيها الملكوت والناس في ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والارض فيكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الانبياء والاولياء والشهداء والصديقين ويتنعم في هذا الملكوت ويتنزه في ذلك الرحموت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتها ومنازل الكفار الى غير ذلك ومنهم من يكشف له عن جمال الله ولا يشهد الا اياه وعن عمر عنه عليه الصلاة والسلام من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان الى الصبح فهو أحب الي من قيام ليالي شهر رمضان كلها فقالت فاطمة يا ابت ما تصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لا يقدرون على القيام قال لا يضعون الوسائد يتكئون عليها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله عز وجل الا كان ذلك أحب الي من قيام أمتي جميعا شهر رمضان وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وخاض في رحمة الله ومسحه جبريل بجناحيه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة

﴿الباب الرابع بعد المائة فى فضل العيد﴾

سمى هذا اليوم الذى هو أول شوال واليوم الذى هو العاشر من ذى الحجة عيدا لأن المؤمنين عادوا فيهما من طاعة الله تعالى التى هى أداء فريضتى صيام رمضان والحج الى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم التى هى صيام ست من شوّال والتأهب لزيارته صلى الله عليه وسلم ولتكرر ذلك كل عام ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالاحسان ولعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر فى السنة الثانية من الهجرة ولم يتركها فهى سنة مؤكدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه زينوا أعيادكم بالتكبير وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده يوم العيد ثلثمائة مرة وأهداها لأموات المسلمين دخل فى كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى فى قبره اذا مات ألف نور وعن وهب بن منبه رضى الله عنه ان ابليس يرن فى كل عيد فتجتمع اليه الابالسة فيقولون ياسيدنا من أغضبك فيقول ان الله تعالى قد غفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلوهم باللذات والشهوات وعن وهب أيضا ان الله تعالى خلق الجنة يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوبى يوم عيد الفطر واصطفى جبريل للوحى يوم عيد الفطر وتاب على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قام ليلة العيد محتسبا لم تمت قلبه يوم تموت القلوب (حكى) ان عمر رأى ولدا له يوم عيد وعليه قميص خلق فبكى فقال ما يبكيك فقال له يا بنى أخشى ان ينكسر قلبك فى يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه أو عق أمه وأباه وانى لأرجو أن يكون الله راضيا عنى برضاك فبكى عمر وضمه اليه ودعا له رضى الله عنهما وما أحسن قول القائل

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * قلت خلعة ساق عبده الجرعا
فقر وصبر هما ثوبان بينهما * قلب يرى ربه الاعياد والجمعا
العيد لى مأتم ان غبت يا أملى * والعيد ان كنت لى مرأى ومستمعا

وورد اذا كان غداة عيد الفطر بعث الله الملائكة فيهبطون الى الارض ويقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله الا الجن والانس يقولون يا أمة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطى العطاء الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الاجير اذا عمل فيقولون جزاؤه ان يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم انى قد جعلت ثوابهم رضائى ومغفرتى

﴿الباب الخامس بعد المائة فى فضل عشر ذى الحجة﴾

روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيها أحب الى الله من هذه الايام يعنى أيام العشر قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أحب الى الله وأفضل من أيام العشر قيل ولا مثلهن فى سبيل الله قال ولا مثلهن فى سبيل الله الا رجل عفر جواده وعفر وجهه فى سبيل الله وعن عائشة رضى الله عنها ان شابا كان صاحب سماع وكان اذا أهل هلال ذى الحجة أصبح صائما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال ما يحملك على صيام هذه الايام قال بأبى أنت وأمى يا رسول الله انها أيام المشاعر وأيام الحج عسى الله ان يشركنى فى دعائهم قال فان لك بكل يوم تصومه عدل مائة رقبة ومائة بدنة ومائة فرس يحمل عليها فى سبيل الله فاذا

كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فاذا كان يوم عرفة فلك فيها عدل ألفي رقبة وألفي بدنة وألفي فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية انها العشر الاول من ذي الحجة وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة وأربعة يسبقون الى الجنة وأربعة اشتاقت اليهم الجنة أما الأيام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيأ من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وثانيها يوم عرفة فاذا كان يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتي أنظروا الى عبادي جاؤا شعثا غبرا قد أنفقوا الاموال وأتعبوا الابدان اشهدوا اني غفرت لهم وثالثها يوم النحر فاذا كان يوم النحر وقرب العبد قربانه فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ورابعها يوم الفطر فاذا صاموا شهر رمضان وخرجوا الى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى لملائكته ان كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من عيدهم يطلبون أجرهم أشهدكم اني قد غفرت لهم وينادي المنادي يا أمة محمد ارجعوا فقد بدلت سيآتكم حسنات وأما الشهور فرجب الفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وأما النساء فمريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين الى الايمان بالله ورسوله وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفاطمة بنت محمد سيدة نساء الجنة وأما السابقون فلكل قوم سابق فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وأما الاربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلي بن أبي طالب وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وعنه صلى الله عليه وسلم من صام يوم التروية أعطاه الله ثواب صبر أيوب عليه السلام على بلائه ومن صام يوم عرفة أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس من يوم أكثر عتقا منه ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضاها له وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة مستقبلة والحكمة في ذلك والله أعلم انه بين عيدين وهما يوما سرور للمؤمنين ولا سرور أعظم من غفران ذنوبهم ويوم عاشوراء بعد العيدين فهو كفارة سنة واحدة ولانه لموسى عليه السلام ويوم عرفة لنبينا صلى الله عليه وسلم وكرامته تتضاعف على غيره صلى الله عليه وسلم

الباب السادس بعد المائة في فضل عاشوراء

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا ان هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على قوم فرعون ونحن نصومه تعظيما له فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن أولى بموسى منكم وأمر بصومه وقد ورد في فضل يوم عاشوراء آثار كثيرة منها انه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق العرش والكرسي والسموات والارض والشمس والقمر والنجوم والجنة وولد ابراهيم الخليل فيه وكانت نجاته من النار فيه وكذلك نجاة موسى ومن معه وأغرق فرعون ومن معه فيه وفيه ولد عيسى وفيه رفع الى السماء وفيه رفع ادريس مكانا عليا وفيه استوت سفينة نوح على الجودي وأعطي فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصر يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف ضر أيوب

وأول مطر نزل من السماء الى الارض كان يوم عاشوراء وكان صومه معروفا بين الأمم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصامه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال صلى الله عليه وسلم في آخر عمره الشريف ان عشت الى قابل لأصومن التاسع والعاشر فانتقل الى الرفيق الاعلى من عامه ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفي صوم التاسع والحادي عشر بقوله صلى الله عليه وسلم صوموا قبله يوما وبعده يوما وذا لمواساة اليهود أي حيث أفردوه بالصوم وروى البيهقي في شعب الايمان من وسع على عياله وأهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكرة للطبراني الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل فيه لم يمرض فموضوع وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطبخ الحبوب والادهان والتطييب يوم عاشوراء من وضع الكذابين (واعلم) ان ما أصيب به الحسين رضي الله تعالى عنه يوم عاشوراء انما هو الشهادة الدالة على مزيد رفعته ودرجته عند الله والحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا ينبغي ان يشتغل الا بالاسترجاع امتثالا للامر واحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وإياه ثم إياه ان يشتغل ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن اذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاة جده صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى وحسبنا الله تعالى وحده ونعم الوكيل

❊الباب السابع بعد المائة في فضل ضيافة الفقراء❊

قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له ابل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال صلى الله عليه وسلم انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل وقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودي والله لا أسلفه الا برهن فأخبرته فقال والله اني لأمين في السماء أمين في الارض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة الى مائة وقال قوام الموضع انه لم يخل ليلة عن ضيف وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في الكفارات والدرجات اطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وسئل عن الحج المبرور فقال اطعام الطعام وطيب الكلام وقال أنس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى وما أحسن قول القائل

لم لا أحب الضيف أو ❊ أرتاح من طرب اليه
والضيف يأكل رزقه ❊ عندي ويشكرني عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم الضيافة الا بطلاقة الوجه وحسن الحديث وابتغاء اللقاء وقال آخر

أصاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف في كثرة القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم أكل طعامك الأبرار في دعائه لبعض من دعا له وقال صلى الله عليه وسلم لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشا لقلوب الباقين وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته قال سفيان من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لما كان يأكله وإطعام التقي إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على الفسق وقال رجل خياط لابن المبارك أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة قال لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة نفسهم وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت وللإجابة خمسة آداب مذكورة في إحياء علوم الدين وغيره

(الباب الثامن بعد المائة في الكلام على الجنازة والقبر)

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فإنها لا يزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد أو بعد غد ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان إذا رأى جنازة قال امضوا فإنا على الأثر وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه ولما مات أخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم ما دمت حيا وقال الأعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال

الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت * نظر ابراهيم الزيات الى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد داق وخوف الخاتمة وقد أمن * وقال أبو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه شعرا فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشأ يقول

ترو عنا الجنائز مقبلات * ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة ثلة لمغار ذئب * فلما غاب عادت راتعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابه وسننه في الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة خطرة لا تدرى حقيقتها ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذى خطايا * ويحكى أن رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه أحد فحملها الى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنتظر لجنازته ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لى في المنام انزل الى موضع كذا ترى فيه جنازة ليس معها أحد الا امرأة فصل عليه فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظرى هل تعرفين منه شيأ من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان اذا أفاق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان أبدا لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان احسانه اليهم أكثر من احسانه الى أولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكى ويقول يارب اى زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث يعنى نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره قال الضحاك قال رجل يارسول الله من أزهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور * وقيل لعلى كرم الله وجهه ما شأنك جاورت المقبرة قال انى أجدهم خير جيران انى أجدهم جيران صدق يكفون الالسنة ويذكرون الآخرة * وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب الى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فما أعددت لى وقال أبو ذر ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع في قبرى

الباب التاسع بعد المائة في التخويف من عذاب جهنم

أخرج البخاري كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحيته ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لمشيتم على الصعيد ولحثيتم على رؤسكم التراب والطبراني في الأوسط جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في حين غير حينه الذي كان يأتيه فيه فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل مالي أراك متغير اللون فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل صف لي النار أو انعت لي جهنم فقال جبريل ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر ثقب ابرة فتح من جهنم لمات من في الارض كلهم جميعا من حره والذي بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من في الارض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن نتن ريحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى تنتهي الى الارض السفلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي يا جبريل لا ينصدع قلبي فأموت قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكي فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال ومالي لا أبكي وأنا أحق بالبكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به ابليس فقد كان من الملائكة وما أدري لعلي أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت قال فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل فما زالا يبكيان حتى نوديا يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد أمنكما أن تعصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الانصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما أسغتم الطعام والشراب ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل فنودي يا محمد لا تقنط عبادي انما بعثتك مبشرا ولم أبعثك معسرا فقال صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار وابن ماجه والحاكم وصححه ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بالماء مرتين لما انتفعتم بها وانها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها والبيهقي ان عمر رضي الله عنه قرأ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قال يا كعب أخبرني بتفسيرها فان صدقت صدقتك وان كذبت رددت عليك فقال ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة أو في يوم ستة آلاف مرة فقال صدقت والبيهقي ان الحسن البصري قال في الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ومسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط وروى ابن ماجه يرسل

البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الاخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل يعني الدم فتقرح العيون

الباب العاشر بعد المائة في الميزان والصراط

أخرج أبو داود عن الحسن عن عائشة انها ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا والترمذي عن انس رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن * وروى الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والارض لوضعت فتقول الملائكة يارب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة من تجوز على هذا فيقول من شئت من خلقي فيقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها فممسك يهوي فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجري الفرس ثم كسعي الرجل ثم كرمل الرجل ثم كمشي الرجل ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار ولقي فيها شرا ثم يدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته فيقال له تمن وسل فيقول أي رب أتهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له تمن وسل حتى انقطعت به الاماني قال لك ما سألت ومثله معه وروى مسلم أن أم مبشر الانصارية رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضي الله عنها لا يدخل النار ان شاء الله تعالى احد من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى أحمد أن جماعة اختلفوا في الورود فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فسأل بعضهم جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال يردونها جميعا ثم أهوى باصبعيه الى أذنيه وقال صمتا ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وروى الحاكم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم أولهم كلمح البرق ثم كلمح الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه

(الباب الحادي عشر بعد المائة في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم)

قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها
حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم
الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد
دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكاس الاوفى فاقرؤا على أنفسكم
وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه
السلام عند موته من لأمتي بعدي فأوحى الله تعالى الى جبريل أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره
بأنه أسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الامم حتى يدخلها
أمته فقال الآن قرت عيني وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله
بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لاهل أحد ودعا لهم
وأوصى بالانصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي
هي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي أويت اليها فأكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم
قال ان عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن انه يريد
نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب أبي
بكر فاني لا أعلم امرأ أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر قالت عائشة رضي الله عنها فقبض صلى الله
عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي
عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم
فناولته اياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أي نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء
فجعل يدخل فيها يده ويقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب يده يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى
فقلت اذا والله لا يختارنا وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأت الانصار أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه
بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد
يده وقال ها فتناولوه فقال ما تقولون قالوا نقول نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب
الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني أنكم تخافون علي الموت كأنه استنكار
منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع اليكم وتنعى اليكم أنفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد
فيكم ألا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي المهاجرين
فيما بينهم فان الله عز وجل قال والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخرها وان الامور تجري
باذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله
غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم
بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم
يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل
من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وان

موعد كما الحوض حوضي أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ و بطحاؤه المسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف لسانه و يده الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله أوص بقريش فقال انما أوصي بهذا الامر قريشا والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال يارسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى جنة المأوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يلي غسلك قال رجال من أهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر فقال كيف الصلاة عليك منا و بكينا و بكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا علي أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الامام وأهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتي الادنى فالادنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني الى من بعدي وقالت عائشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي مات رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فأعاد رأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك الا باذن فان لم تأذن لي أرجع وان أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك فقلت اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلنا أمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيأ وما يتكلم أحد من أهل البيت اعظاما لذلك الامر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام و يقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمتك فقال أجدني وجعا فقال أبشر فان الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال يا جبريل ان ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد ان ربك اليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن

عليه أبدا ألا إن ربك يقرئك السلام وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذا حتى يجيء وأذن للنساء فقال يا فاطمة
ادني فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال ادني مني رأسك
فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا فسألناها
بعد ذلك فقالت أخبرني وقال إني ميت اليوم فبكيت ثم قال إني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي
وأن يجعلك معي فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال
الملك ما تأمرنا يا محمد قال ألحقني بربي الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن
أحد ترده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء
جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا طوي الوحي وطويت الدنيا
وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي لا والذي بعث محمدا بالحق
ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما سمع من حديثه
ووجدنا وإشفاقنا قالت فقمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره
وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وما
وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من
الرشح فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار فعند ذلك
ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي بعثه إلى أبي فمات رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل أن يجيء أحد وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغمي عليه قال بل
الرفيق الأعلى كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين
ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة قالت عائشة رضي الله
عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة رضي
الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم يوم أصيب علي
كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي
وفيه قتل أبي فما لقيت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب
بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون
معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس
ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد وإن
كان الناس لم يرعووا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد
والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا
قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية أن أبا

بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان اللهم فأبلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا ما أقدرنا الله عليه وحدث قلوبنا اليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة ونرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلحقنا بنبينا صلى الله عليه وسلم على الايمان انه أكرم مسؤل وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين

الحمد لله علام الغيوب والصلاة والسلام على سيد كل محبوب وعلى جميع الآل والأصحاب وعلى كل من لبى دعوته وأجاب ﴿اما بعد﴾ فقد تم طبع هذا الكتاب المسمى بمكاشفة القلوب المقرب الى علام الغيوب بالمطبعة البهية ادارة الحضرة العثمانية الكائنة بحارة العرايسة بخط باب الشعرية بهمة مديرها ومنشيها ذي الرأي الصائب الفائق حضرة الشيخ عثمان عبد الرازق كان الله معه وبلغه ما أمله وكان الفراغ من طبعه أول شهر ربيع الاول من عام ألف وثلثمائة وستة بعد الالف من هجرة من خلق على أكمل حال وأعلى وصف صلى الله عليه وسلم